أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم أغراضه وبلاغته -

دراسة نظرية تطبيقية

من خلال تفسير الإمام أبي السعود العمادي

-رحمه الله-

إعداد:

د. محمد أحمد محمود شلبي

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن - بكلية أصول الدين والدعوة
– بالمنصورة

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على إمام المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين سيدنا، ومولانا محمد وعلى آله، وصحبه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــد ،،،

فهذا ملخص بحث بعنوان:« أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، أغراضه وبلاغته في تفسير الإمام أبي السعود العمادي – رحمه الله تعالى» وقد عرضت لشخصية العلامة أبي السعود، معرفا باسمه، ومولده، وشيوخه، ومناصبه العلمية، ومؤلفاته، وذكرت طرفا من ثناء العلماء عليه، ثم تعرضت لقضية الإعجاز البياني للقرآن عند الإمام أبي السعود رحمه الله، مبينا جهوده المشكورة في خدمة البلاغة القرآنية، والتي كان لها أبعد الأثر فيمن أتي بعده من المفسرين، كما عرضت لموقع هذا الأسلوب من البلاغة العربية، مبينا إلى أي باب من أبواب البلاغة ينتمي، مع بيان أهميته، وأغراضه عند البلاغيين، هذا في المبحث الأول، وأما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه جهود العلامة أبي السعود– رحمه الله تعالي– في الكشف عن أغراض الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، وقد تنوعت تلك الأغراض، فمنها: العناية بالاسم المظهر، وتشريفه، وتفخيمه، والتلذذ بذكره، وتربية المهابة، وزيادة تعيينه، وتقرير المعنى، وبيان استقلال الجملة، والإشعار بعلة الحكم، والتسجيل على المخاطب بوصف ظاهر، والتهويل،

وقصد التعميم، وغير ذلك، وفي تنوع هذه الأغراض وتعددها أكبر الأدلة على إعجاز هذا الكتاب الخالد وثراء معانيه.

كما أني ناقشت العلامة أبا السعود في بعض المواضع التي تحتاج إلى المناقشة، ثم خرجت بعد ذلك بمجموعة من النتائج المهمة التي يجنيها الباحث من وراء دراسة هذا الأسلوب في كتاب الله تعالى.

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وخدمةً لكتابه العظيم، وأن يجعله في ميزان حسنات شيخ الإسلام أبي السعود العمادي رحمه الله تعالى.

Summary of Research

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, the best prayer and peace on the leader of messengers, and the seal of the prophets, and Allah's mercy to the worlds, our master Muhammad and his family , companions and their followers in righteousness to the Day of Judgment , to proceed,,,

This is a summary of the research entitled: "The style of the show in the shrine of implication in the holy Qur'an, its purposes and eloquence in the interpretation of Imam Abu Al Saud Al Emadi - may Allah have mercy on him." - I presented the personality of the Imam Abi Al-Saud, identified by his name and his birth, his sheikhs, his scientific position, and his writings and some of The scholars praised him, and then came to the issue of the miraculous eloquence in the holy Qur'an at Imam Abu al-Saud, may God have mercy on him, Explaining this commendable effort in the service of the Qur'anic rhetoric, which had far effect on interpreters who came after him ,I also offered this method of the Arabic Rhetoric indicating its importance, and its purposes by Scholars of rhetoric, This is in the first section, while the second section I dealt with the efforts of the Imam Abu Al Saud - may Allah have mercy on him. In prevailing the objectives of the show in the shrine of implication in the holy Qur'an, These include the following: care of the name, appearance, honoring, exaggeration, memorizing, raising the gift, increasing the appointment, determining the meaning, declaring the independence of the sentence, announcing the ruling, registering the person with a visible description, intimidation, generalization, etc. The variety and multiplicity of these purposes is the greatest evidence of the miracle of this immortal book and the richness of its meaning.

I also discussed the imam Abu Saud said in many places that need discussion, then left after a group of important results accruing to the researcher behind the study this method in the Book of Allah.

And I ask Allah to make it purely for His sake, and the great service to his book, and to make it in the balance of the merits of Islam Sheikh Abu Saud Al Emadi Almighty God's mercy on him.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــد

فقد تسنَّم القرآن الكريم ذروة البلاغة العربية ؛ وبلغ في ذلك الغاية التي ليس وراءها غاية، وتنافس في إظهار محاسنه البيانية، ومزاياه البلاغية كثير من أهل العلم، وكان من بين هؤلاء: شيخ الإسلام الإمام أبو السعود العمادي – رحمه الله تعالى– وهو من كبار المفسرين الذين سارت بذكرهم الركبان في مشارق الأرض ومغاربها، وقد أخرج للناس تفسيره العظيم «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» فجاء غاية في بابه، ونهاية في حسن الصوغ وجمال التعبير، كشف فيه عن أسرار البلاغة القرآنية، بما لم يسبقه أحد إليه، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم، وشهد له كثير من العلماء بأنه من أحسن ما كُتب في التفسير.

وقد عني الإمام أبو السعود رحمه الله في تفسيره عنايةً فائقة بإظهار أوجه البلاغة القرآنية المعجزة، والتي فاض بها تفسيره بصورة تلفت النظر وتسترعي الانتباه.

وكان مما عني به من أوجه البلاغة: أسلوب «الإظهار في مقام الإضمار»، وهو من أروع الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، وقد تعرض في تفسيره

لمواضع هذا الأسلوب في القرآن الكريم، وبيان أغراضه ودلالاته، ولم يلحق به أحد من المفسرين في عنايته بهذا الأسلوب، بل اعتمد كثير منهم على ما استنبطه من دلالات وأسرار لهذا الأسلوب.

ولما لم أجد بحثا تناول هذا الأسلوب في القرآن الكريم كله، استعنت الله – تعالى– وقمت باستقراء مواضع هذا الأسلوب في القرآن الكريم من خلال تفسيره، ورتبتها حسب الأغراض التي ذكرها مع بيان أثر هذا الأسلوب على المعنى والسياق، وقد ناقشت العلامة العلامة أبا السعود – رحمه الله – في بعض المواضع التي تستحق المناقشة، والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دوافع اختيار البحث

كان الدافع وراء خوض غمار هذا البحث أمورا، منها : –

١. إظهار بعض محاسن البيان القرآني الخالد بعرض أسلوب من أساليبه البليغة عرضا مفصلا يبين أغراضه وأسراره.
٢. إبراز جهود الإمام أبي السعود– رحمه الله تعالى– في العناية بالبيان القرآني عموما، وبأسلوب الإظهار في مقام الإضمار على وجه الخصوص، فإنه يعتبر أكثر المفسرين عناية بهذا الأسلوب.
٣. جمع أكبر قدر ممكن من الشواهد القرآنية لهذا الأسلوب في مكان واحد كي تتضح معالمه، وتكتمل صورته في عقل طلاب الدراسات القرآنية وعشاق البيان القرآني.

أسئلة البحث

يثير هذا البحث عدة تساؤلات يمكن إجمالها فيما يلي:

- ما قيمة أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في البلاغة العربية؟.
- هل كان للإمام أبي السعود – رحمه الله – جهود ملموسة في بيان أغراض الإظهار في مقام الإضمار، وهل كان موفقا في ذلك ؟ .
- هل كان للإمام أبي السعود أثر فيمن أتي بعده من المفسرين في بيان أغراض هذا الأسلوب؟.

وسوف يحاول البحث تقديم إجابات شافية عن تلك الأسئلة إن شاء الله تعالى .

منهج البحث

اتبعت في كتاب هذ البحث المنهج، الوصفي، لتحليلي، حيث تتبعت مواضع هذا الأسلوب في القرآن الكريم، ثم قمت بتصنيفها حسب الأغراض التي ذكرها شيخ الإسلام أبو السعود – رحمه الله–، ثم تناولت تلك المواضع تناولا تحليليا أبين من خلاله ما لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار من بلاغة وأثر على المعنى .

حدود البحث

يعنى هذا البحث ببيان الجانب النظري لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، ثم الجانب التطبيقي لهذا الأسلوب من خلال تفسير الإمام أبي السعود العمادي – رحمه الله تعالى–، لما له من جهد كبير في إبراز أغراض هذا الأسلوب في تفسيره العظيم.

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، تحدثت في المقدمة عن: أهمية البحث، ودوافع اختياره، وأسئلته، والمنهج المتبع في كتابته، وخطته، ثم عرَّفت في التمهيد بالإمام أبي السعود –رحمه الله– مبينا بعض جهوده في إبراز بلاغة القرآن الكريم، ثم كانت المباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: **أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في البلاغة العربية**.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإظهار في مقام الإضمار ومنزلته عند البلاغيين.

المطلب الثاني: أغراض الإظهار في مقام الإضمار عند البلاغيين.

المبحث الثاني : **أغراض الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم من خلال تفسير الإمام أبي السعود رحمه الله**.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإظهار لأغراض تتصل بالاسم المظهر.

المطلب الثاني: الإظهار لأغراض تتصل بمضمون الجملة.

ثم **الخاتمة**، والتي اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المراجع والمحتويات.

تمهيد

الإمام أبو السعود وجهوده في ميدان البلاغة القرآنية.

أولا : تعريف موجز بشيخ الإسلام أبي السعود العمادي.

أ- اسمه ، ومولده

ذكر المترجمون للإمام أبي السعود رحمه الله – تعلى– أن اسمه: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، الإمام العلامة المفسر الماهر، واللغوي الباهر .

وأنه وُلِد بالقسطنطينية عام: ثمان وتسعين وثمانمائة من الهجرة ٨٩٨، وقيل عام: ست وتسعين وثمانمائة ٨٩٦ هـ [١].

ب - حياته ، ونشأته

ولد الإمام أبو السعود العمادي في بيت علم، ودين، وفضل، فالعماديون الذين ينحدر منهم قد اشتهروا بالقضاء والفتيا، وتعاقبوا على عرش القضاء في بلاد الروم وحواضر الشام فترة طويلة[٢]. ووالدته بنت أخي العلامة عَلَاء الدّين القوشجي[٣].

١- النور السافر عن أخبار القرن العاشر لمحي الدين العيدروس، ص: ٢١٥، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا الباباني البغدادي ٢/٢٥٣.

٢- تراجم الأعيان من أبناء الزمان لمحمد بن الحسن البوريني ١/٢٣٩.

٣- علاء الدين علي بن محمد القوشجي، ومعنى القوشجي: (الذي يحفظ البزاة _ جمع بازي وهو نوع من الصقور) لسان العرب ٥/٣١٤. ولعل هذه كانت وظيفته أن يحرس الصقور التي كان يصطاد بها الملوك، إذ كانت ولا تزال هواية الصيد بالصقور مما ==

ووالده محمد بن مصطفى العمادي كان عالما، تقيا، دينا، فاضلا، ورعا[1].

وقد كان لهذا الجو العلمي الذي نشأ فيه العلامة أبو السعود أكبر الأثر على شخصيته وتفوقه العلمي، فقد تعهده والده منذ الصغر بالتأديب والتعليم، فقرأ عليه كثيرا من أمهات الكتب، قال طاش كبرى زاده في الشقائق النعمانية متحدثا عن تلك النشأة وأثرها عليه:« وَقد مهد لَهُ فِي مهده الصَّوَاب وسخر لَهُ أبيات الْخطاب، وتربى فِي حجر الْعلم حَتَّى ربَى، وارتضع ثدي الْفضل الى أن ترعرع وحَبَا»[2].

وقد قرأ على والده كثيرا، ومن جملة ما قرأه عليه: «حاشية التجريد» للشريف الجرجاني[3] بتمامها، و«شرح المفتاح» للشريف أيضا قرأه عليه مرتين،

==هو معروف عن كثير من الملوك والحكام) ، من علماء بلاد ما وراء النهر كان أبوه من خدام (ألغ بك) ملك ما وراء النهر، قرأ على علماء سمرقند، وقرأ على قاضي زاده الرومي العلوم الرياضية، وكان بارعا في الفلك والرياضيات، زار الحجاز، والقسطنطينية، وكان مقربا لدى الملوك والحكام، له حاشية على أوائل شرح الكشاف للتفتازاني، وكتاب عنقود الزواهر في الصرف، وغيرها توفي بالقسطنطينية ودفن بها سنة ٨٧٩هـ. الشقائق النعمانية ٩٩/١، البدر الطالع ٤٩٦/١، الأعلام ٨/٥.

١- المراجع السابقة

٢- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده، ص:٤٤٠، النور السافر، ص:٢١٥.

٣- الشريف الجرجاني: عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ الْحَنَفِيّ المعروف بالشريف الْجِرْجَانِيّ، كَانَ عَلامَة دهره من كبار العلماء بالعربية، شرح المواقف للعضد، وَشرح التَّجْرِيد للنصير=

و«شرح المواقف» له أيضا، ومفتاح العلوم لابي يعقوب السكاكي[١].[٢].

ولم يقتصر تلقيه العلم على والده بل تلقى العلم على أفاضل عصره من أهل العلم، ومن شيوخه: العلامة قادر جلبي المشهور بسعدي جلبي، وهو معدود من أكابر علماء الروم[٣].

وبالجملة فقد اسْتَفَادَ من الأجلة الْكِرَام والأعزة الفخام كما قال طاش كبرى زاده[٤].

==الطوسي، وَيُقَال إن مصنفاته زَادَت على خمسين مصنفا. مَاتَ سنة أَربع عشرَة وَثَمَانمِائَة. بغية الوعاة ١٩٧/٢.

١- السكاكي: يُوسُف بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن عَليّ أَبُو يَعْقُوب السكاكي سراج الدّين الْخَوَارِزْمِيّ. إِمَام فِي النَّحْو والتصريف والمعاني وَالْبَيَان وَالِاسْتِدْلَال وَالْعرُوض وَالشعر، وَله النَّصِيب الوافر فِي علم الْكَلَام وَسَائِر الْفُنُون، وَله كتاب مِفْتَاح الْعُلُوم، مَاتَ بخوارزم سنة سِتّ وَعشْرين وسِتمِائَة. بغية الوعاة ٣٦٤/٢.

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ٥٨٤/١٠، النور السافر، ص:٢١٦.

٣- سعد الله بن عيسى بن أمير خان، الشير بسعدى جلبي أو سعدي أفندي: قاض حنفي من علماء الروم، منشأه ووفاته في الآستانة. عمل في التدريس وولي القضاء بها مدة ثم تولى الإفتاء الى أواخر حياته، له حاشية على البيضاوي، وحاشية على العناية شرح الهداية للبوريني، وكان من أفاضل العلماء والحفاظ، توفي عام:٩٤٥هـ. الشقائق النعمانية، ص:٢٦٥، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي ٣١/٣، الأعلام٨٩/٣.

٤- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده، ص:٤٤٠.

ج- مناصبه العلمية، ووظائفه.

من خلال ما كتبه المؤرخون عن المناصب التي تولاها الإمام أبو السعود يمكننا أن نقول إنها توزعت بين التدريس، والقضاء، والفتيا، فقد استهل حياته العملية بالتدريس، إذ تنقل في مدارس الدولة العثمانية مدرسا بكثير من مدارسها، ثم انتقل إلى القضاء المدني فعمل فيه فترة، حيث ولي قضاء (بروسا)، ثم قضاء (اسطنبول)، ثم انتقل إلى القضاء العسكري، وقد استحوذ القضاء على الجزء الأكبر من حياته حيث ظل في هذا المنصب ثلاثين عاما، من عام اثنين وخمسين وتسعمائة من الهجرة (٩٥٢) حتى عام اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة (٩٨٢)[١].

وقد تميز رحمه الله تعالى بالدقة المتناهية والإتقان في جميع المهام التي وكلت إليه، فكان مثالا نادرا للتفاني والعلم والتبحر والخبرة، والتميز، في التدريس والقضاء والفتيا، وقد ذكر عنه المؤرخون أنه كَانَ يكْتب الْجَواب على منوال مَا يَكْتُبهُ السَّائِل من الْخطاب وَاقعا على لِسَان الْعَرَب والعجم وَالروم[٢]. من المنثور والمنظوم، حتى سَارَتْ أجوبته فِي جَمِيـــع الْعُلُـــوم فِي

١- الشقائق النعمانية ص:٤٤١، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين محمد بن محمد الغزي ٣/٣١.

٢- وفي هذا إشارة إلى أنه رحمه الله تعالى كان ملما بأكثر من لغة من اللغات الحية التي كانت موجودة في عصره، وقد كان ذلك رافدا مهما من روافد ثقافته التي مكنته من التعامل مع كافة الثقافات المختلفة في عصره مما سهل عليه مهمة التواصل مع الناس. وهكذا فليكن العالم الذي حمل أمانة العلم والتعليم، وقد ذكر صاحب الشقائق النعمانية=

الآفاق مسير النُّجُوم[1].

قال صاحب النور السافر واصفا استقامة منهجه:« ثمَّ فِي سنة إِحْدَى وَخمسين ولي منصب الإفتا، وَكَانَ سلوكه لَا عوج فِيهِ وَلَا أمتا»[2].

هـ- آثاره العلمية

لم يخلف أبو السعود كثيرا من المؤلفات لانشغاله بالقضاء والفتيا حيث قضى فيهما معظم حياته، فشغل بذلك عن التأليف والتصنيف وقد قال معبرا عن تلك الحال:« فمضت الدهور والسنون، وتغيرت الأطوار، وتدلت الشئون، فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد، وأخرى في قضاء العساكر والأجناد، فحال بيني وبين ما كنت أخال تراكم المهمات، وتزاحم الأشغال، وجموم العوارض والعلائق، وهجوم الصوارف والعوائق، والتردد إلى المغازي والأسفار، والتنقل من دار إلى دار»[3].

ومع ذلك فقد ترك مجموعة من المؤلفات القيمة في التفسير والفقه حازت إعجاب أهل العلم في عصره وبعد عصره، ونذكر منها:

==ص:٤٤٢ نماذج لفتاواه المنظومة، والمنثورة المسجوعة، وكذلك فتاواه المكتوبة بغير العربية، والتي يضيق عن إيرادها نطاق البحث.

١- الشقائق النعمانية ، ص:٤٤١.

٢- النور السافر عن أخبار القرن العاشر لمحيي الدين العيدروس، ص:٢١٦.

٣- إرشاد العقل السليم ٦/١.

١- تفسيره للقرآن والمسمى:« إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» وهو أعظم ما ألَّف الإمام أبو السعود -رحمه الله تعالى-، وقد اختلس من وقته فرصة ألفه فيها، وقد قال عن ذلك في مقدمته:« فلما انصرمت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال، ورأيت أن الفرصة على جناح الفوات، وشمل الأسباب في شرف الشتات، وقد مسنى الكبر، وتضاءلت القوى والقدر، ودنا الأجل من الحلول، وأشرفت شمس الحياة على الأفول عزمت على إنشاء ما كنت أنويه، وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أبتغيه»[١].

وقد حظي هذا التفسير بثناء العلماء وإعجابهم، قال عنه طاش كبرى زاده:« وَقد أتى فِيهِ بِمَا لم تسمح بِهِ الاذهان، وَلم تقرع بِهِ الآذان فَصدق الْمثل السائر كم ترك الأول للآخر»[٢]، وقال الشوكاني عنه في البدر الطالع:« وَهُوَ من أجل التفاسير وأحسنها وأكثرها تَحْقِيقا وتدقيقا»[٣]، وغير ذلك كثير من عبارات الثناء.

وله غير التفسير المذكور مجموعة مؤلفات ذكرها صاحب كشف الظنون[٤].

١- إرشاد العقل السليم ٦/١.

٢- الشقائق النعمانية، ص:٤٤٤.

٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ٢٦١/١.

٤- من تلك المؤلفات: رسالة بعنوان:(حسم الخلاف في المسح على الخفاف)، رسالة في وقف النقود وجوازه، بضاعة القاضي في الصكوك، فتاوى المولى أبي السعود، وقد جمعها بعض تلاميذه، تعليقة على الكشاف بعنوان:(معاقد الطراف في أول تفسير سورة الفتح من الكشاف). ينظر: كشف الظنون :٢٤٧/١،٨٩٨،٦٦٥، ١٤٧٥/٢،١٢١٩،هدية العارفين للبغدادي٢٥٣/٢.

على أن العبرة ليست بكثرة الكتب التي يخلفها العالم، وإنما بما يتضمنه الكتاب من العلم النافع، وما يتركه من أثر في التخصص الذي ينتمي إليه، وقد كان لمؤلفات الإمام أبي السعود وخاصة تفسيره العظيم النصيب الأوفى من الذيوع والانتشار، والأثر العظيم فيمن أتى بعده.

وفاته

بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال كان لابد من الأجل المحتوم، ولقاء الحي القيوم، فأسلم الإمام أبو السعود روحه إلى بارئها في القسطنطينية سحرَ ليلة الأحد في الخامس من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة من الهجرة، وقد كانت جنازته حافلة، شهدها الجم الغفير، ودُفن بمقبرته التي أنشأها بالقرب من تربة صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– سيدنا أبي أيوب الأنصاري –رضي الله تعالى عنه–، قال صاحب النور السافر: « وقد أتى نعيه إِلَى الْحرم، فَنُوديَ بِالصَّلَاةِ من أَعلَى زَمْزَم، وَصُلِّي عَلَيْهِ صَلَاة الْغَائِب، ورثاه جمَاعَة من أهل مَكَّة»[1].

ثانيا : الإعجاز البياني للقرآن عند الإمام أبي السعود رحمه الله

عُنِي شيخ الإسلام أبو السعود – رحمه الله تعالى– بقضية الإعجاز البياني للقرآن الكريم عناية فائقة، فلم يكد يترك ناحية من نواحي البلاغة القرآنية إلا ويتعرض لها، حتى ليمكننا أن نقول إن كتابه قد جمع فأوعى كلَّ أو جل

١– الكواكب السائرة الغزي ٣٣/٣، النور السافر، ص:٢١٧.

مباحث علوم البلاغة تقريبا، ومن أراد برهانا على ذلك فدونه تفسيره – رحمه الله– خير شاهد على ذلك.

وقد تناول الإمام أبو السعود – رحمه الله– المباحث البلاغية تناولَ الخبير بدقائقها العليم بخفاياها، حتى أصبح كثيرٌ ممن أتى بعده عالةً عليه في التعرض لبلاغة القرآن الكريم، ومن ينظر في فتح القدير للشوكاني، والبحر المديد لابن عجيبة، وروح المعاني للألوسي، وحدائق الروح والريحان للهروي، وفتح البيان لصديق حسن خان، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وأضواء البيان للشنقيطي، ومحاسن التأويل للقاسمي، والمنار لمحمد رشيد رضا، وغيرها بعد عصر أبي السعود– رحمه الله– يدركْ صحة هذا الكلام، وما لأبي أبي السعود من تأثير كبير فيمن أتوا بعده من المفسرين.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي – رحمه الله–: « قرأت في هذا التفسير فلاحظت عليه أنه كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولوع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طيَّاتها، مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتى حظاً وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية، ويكاد يكون صاحبنا هو أول المفسِّرين المبرزين في هذه الناحية» [1].

١– التفسير والمفسرون ٢٤٨/١.

ويرجع كثرة المباحث البلاغية في تفسير أبي السعود إلى اعتماده على أهم تفسيرين اشتغلا بالإعجاز البياني للقرآن الكريم، وهما: الكشاف للإمام الزمخشري، وأنوار التنزيل للعلامة البيضاوي – رحمهما الله تعالى– فقد كان معجبا بهما أشد الإعجاب، مفتونا بما فيهما من مباحث البلاغة القرآنية، وقد تحدث عن ذلك في مقدمة تفسيره قائلا:« لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل؛ فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أيَّ إحراز، كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز، صحائفهما: مرايا المزايا الحسان، وسطورهما: عقود الجُمان، وقلائد العِقيان[1]، ولقد كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما، وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما، يدور في خلدي على استمرار، آناء الليل، وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق...[2].

وقد استوعب الإمام أبو السعود التفسيرين المذكورين استيعابا دقيقا وقام بجمع ما فيهما من مباحث البلاغة القرآنية، بيد أنه انفرد عنهما بأمور منها:

١- كثرة المناقشات والتعقيبات والردود، عليهما، خصوصا في مسائل البلاغة، والبيان.

٢- التوسع في تناول المسائل البلاغية، والتطرق إلى ميادين لم يتطرقا

١- العِقيان: الذهب الخالص. ينظر: تاج العروس ٧٧/٢٣، العين ١٧٨/٢ (عقي) .

٢- إرشاد العقل السليم ٤/١.

إليها.

٣- توسيع نطاق التطبيقات البلاغية في الآيات حيث يأتي على أكبر قدر ممكن من المباحث البلاغية في الآيات.

٤- الإكثار من استخدام مصطلح «النظم» الذي اعتمده الإمام عبد القاهر الجرجاني أساسا أقام عليه نظريته في إعجاز القرآن[١].

١- النظم: في اللغة: جمع اللؤلؤ في السلك، وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل. التعريفات ص:٢٤٢.

والمراد بنظم القرآن هو أسلوب تأليفه، الذي بهر به عقول البلغاء، وأعجز به الفصحاء، والمراد به عند عبد القاهر: « أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ "علمُ النحو"، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها، وذلك أنَّا لا نَعلم شيئاً يبتغيهِ الناظمُ بنَظْمه غيرَ أنَ ينظرَ في وُجوهِ كلَّ بابٍ وفُروقِهِ، فيصيب بكل من ذلك مكانَه، ويستعملَه على الصِّحة وعَلَى ما ينبغي له » دلائل الإعجاز ص:٨١.

وقد كانت نظريته تلك هدما لثنائية اللفظ والمعنى، فقد حمل عبد القاهر على النقاد القدماء وخطأهم فيما ذهبوا إليه في تفضيلهم للألفاظ على حساب المعاني، أو للمعاني على حساب الألفاظ، يقول:« واعلمْ أن الداءَ الدَّويَّ، والذي أعيا أمرُهُ في هذا الباب، غَلطُ منْ قدَّمَ الشعرَ بمعناه، وأقلَّ الاحتفالَ باللفظِ، وجعَلَ لا يُعطيهِ من المزية إن هو أَعطى إلاَّ ما فَضَل عن المعنى » دلائل الإعجاز ص:٢٥١.

وقد بلغ القرآن في علو النظم وجزالته مبلغا وصفه عبد القاهر بقوله: « أعجزتم مزايا ظهرتْ لهم في نظمهِ، وخصائصُ صادفوها في سِياق لفظه، وبدائعُ راعَتْهم من مبادئ آيهِ ومقاطِعها، ومجاري ألفاظِها ومواقعها، وفي مضربِ كلَّ مثلٍ، ومساقِ كلَّ خبرٍ، وصورةِ =

٥- شيوع استخدامه وتوظيفه للمصطلحات البلاغية الشائعة المستقرة بين جماهير العلماء والباحثين، مما يجعل الكتاب كنزا علميا في البلاغة التطبيقية، وموردا غنيا للباحثين والدارسين على حد سواء[١].

لهذا وغيره ارتفعت مكانة الإمام أبي السعود وكتابه واشتهر في الأوساط العلمية وبين طلاب الدراسات القرآنية شهرة كبيرة، وأصبح مقصدا لعشاق البلاغة القرآنية، ينهلون من معينه، ويغترفون من بحره.

==كلَّ عِظَةٍ وتنبيهٍ، وإعلامٍ وتَذكيرٍ، وترغيبٍ وترهيبٍ، ومع كلَّ حُجةٍ وبُرهانٍ، وصفةٍ وتبيان، وبَهرهُم أنَّهم تأمَّلوه سُورةً سورةً، وعَشْراً عَشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة يَنْبو بها مكانُها، ولفظةً يُنكرُ شانُها، أو يُرى أنَّ غيَرها أصلحُ هناك أو أشْبَه، أو أحرى وأخْلَق، بل وجدُوا اتِّساقاً بَهرَ العُقولَ، وأعجزَ الجمهورَ، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يَدعْ في نفسِ بليغٍ منهم، ولو حكَّ بيافوخِه السَّماء، موضعَ طمعٍ، حتى خرسَتِ الألسنُ عن أن تدعي وتقول، وخذيت القروم فلم تملك أن تصول» دلائل الإعجاز ص:٣٩. والقروم: جمع قرم وهو الفحل أو ما لم يمسه حبل أي ترك عن الركوب والعمل. القاموس(قرم)

١- أساليب المعاني في تفسير أبي السعود، نور الدين محمد باشا، ص:٥٤.

المبحث الأول

أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في البلاغة العربية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقع هذا الأسلوب ومنزلته عند البلاغيين

احتل أسلوب الإظهار في مقام الإضمار منزلة كبيرة عند علماء البلاغة العربية، وعقدوا له مباحث في مؤلفاتهم بينوا من خلالها نسب هذا الأسلوب إلى مباحث البلاغة العربية، وقبل التعرض لذلك يجدر بنا أن نعرض لمعنى **الإظهار والإضمار في اللغة والاصطلاح**.

معنى الإضمار:

قال ابن فارس:« الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى دِقَّةٍ فِي الشَّيْءِ، فالأول قولهم: ضَمَرَ الْفَرَسُ وَغَيْرُهُ ضُمُورًا، وَذَلِكَ مِنْ خِفَّةِ اللَّحْمِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْهُزَال، وَالْآخِرُ يَدُلُّ عَلَى غَيْبَةٍ وَتَسَتُّرٍ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: أَضْمَرْتُ فِي ضَمِيرِي شَيْئًا؛ لِأَنَّهُ يُغَيِّبُهُ فِي قَلْبِهِ وَصَدْرِهِ »[1].

والمضمر: اسم مفعول من أضمرته، إذا أخفيته وسترته، وهو: ما وضع لمتكلّم، أو مخاطب، أو غائب تقدّم ذكره لفظا، أو معنى، أو حكما، وهو متّصل، ومنفصل، وتسميته بالضمير أو المضمر تسمية البصريين، وأما

١- مقاييس اللغة ٣/٣٧١، كتاب الضاد، باب الضاد والميم، وما يثلثهما.

الكوفيون فيسمونه: الكناية، والمكني[١].

وعلى ذلك فالإضمار: استعمال الضمير في موضع الاسم الظاهر.

- **معنى الإظهار**:

يدور معنى مادة (ظهر) حول البروز والبيان، قال ابن فارس: « الظَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ، مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ»[٢].

وعلى ذلك يكون المراد بالإظهار ما يقابل الإضمار، أي إظهار الاسم في محل النطق بدلا من إقامة ضميره مقامه.

موقع أسلوب الإظهار في مقام الإضمار من مباحث البلاغة العربية

ذكر الإمام الزركشي في البرهان أن أسلوب الإظهار في مقام الإضمار من مسائل علم المعاني التي تتصل بمباحث المسند إليه؛ ووضَعَه بعضهم في باب الإطناب، قال:« وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَسْمَاءِ أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةً وَأَصْلُ الْمُحَدَّثِ عَنْهُ كَذَلِكَ، وَالْأَصْلُ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ ثَانِيًا أَنْ يُذْكَرَ مُضْمَرًا لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِالظَّاهِرِ السَّابِقِ... ثم قال: وللخروج على خلاف الأصل أسباب »[٣].

١- الكافية في علم النحو لجمال الدين بن الحاجب ٣٢، شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ٩٧/١، ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ٩١١/٢،

٢- مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، كتاب الظاء، باب الظاء والهاء وما يثلثهما.

٣- البرهان في علوم القرآن ٤٨٢/٢، ٤٨٤.

وقد لا حظ البلاغيون أن هذا الأسلوب مما لا يجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا له بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، أي مقتضى القياس الوضعي، وإنما كان على خلاف مقتضى الظاهر لأن علم المعاني قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال[1]، فيأتي البليغ بكلامه بما يتطابق مع ظاهر الحال التي يتعرض لها، فيقدم في مقام التقديم، ويؤخر في مقام التأخير، ويستعمل الخبر في موضعه، والإنشاء في موضعه، ويُظهر في موضع الإظهار، ويُضمر في موقع الإضمار، فإن خالف البليغ ذلك الظاهر وعدل عنه إلى ما يخالفه كان ذلك خروجا على مقتضى الظاهر لنكتة تستدعى المخاطب، أو القارئ، أو السامع إلى البحث عن علةِ خروجه عن مقتضى الظاهر مستعينا بالقرائن[2].

١- ينظر: علوم البلاغة، المعاني، والبيان، والبديع لأحمد بن مصطفى المراغي،ص:٤٣.

٢- عقد البلاغيون بابا للخروج عن مقتضى الظاهر وأوردوا له صورا، منها: الالتفات، أسلوب الحكيم، تجاهل العارف، التغليب، تنزيل العالم منزلة الجاهل، تنزيل المعقول منزلة المحسوس، إقامة المفرد مقام الجمع، وعكسه، إقامة الخبر مقام الإنشاء وعكسه، الانتقال من الماضي إلى المضارع وعكسه، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، إلى غير ذلك، مما يخرج فيه الكلام عن مقتضى الظاهر لغايات بلاغية يتغيَّاها المتكلم، وأمثلة تلك الصور مذكورة في محلها من كتب البلاغة العربية، ينظر: عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ص:٢٦٤/١، علوم البلاغة أحمد مصطفى المراغي ص:١٤٠، البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني ٤٧٩/١، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د: محمد محمد أبو موسى، ص:٢٤١.

منزلة أسلوب الإظهار في مقام الإضمار عند البلاغيين

بين الإمام السكاكي في مفتاح العلوم عند حديثه عن هذا الأسلوب أنه كغيره من الأساليب التي استعملتها العرب ليكون الكلام أبلغ، وأبعث لنشاط السامع وهمته، فهم يغايرون في أساليب الكلام من أسلوب لآخر كي لا يمل السامع، قال: « والعرب يرون أن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخلُ في القبول عند السامع، وأحسن تطريةً لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه»[1].

وقد كشف الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى النقاب عن بعض مزايا هذا الأسلوب وما فيه من الحسن والمزية فيقول: « ولقد أدرك البلاغيون وحي الكلمة، وعملها بما يثيره «لفظها» من شئون في النفس لا يستطيعها «الضمير» العائد عليها، فأشاروا إلى أن الكناية – الضمير– والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشيف، فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه، إلا أن قدرا كبيرا من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظا به، ولا يستطيع الضمير حَمْلها نيابةً عنه؛ لأنها تتولد حين يقرع اللفظُ السمعَ بجرسه، وارتباطاته المختلفة جد الاختلاف، والتي اكتسبها في قصته الطويلة مع الكلمات، والأحداث، والمواقف»[2].

وقد بين الإمام عبد القاهر الجرجاني أنَّ للتَّصريح عَمَلاً لا يكونُ مثله للكناية، وقد أورد على ذلك شواهد من الشعر العربي، وشواهد من القرآن

١- مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ص:١٩٩.

٢- خصائص التراكيب د. محمد محمد أبو موسى، ص:٢٤٧

الكريم، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[2]، فقد رأى أن في إعادة اللفظِ في مِثْلِ تلك الشواهد من الحُسْنِ والبَهْجة، ومنَ الفَخَامة والنُّبل، ما لا يَخْفى موضِعُه على بصيرٍ. وقد علق على تلك الأمثلة بقوله:« ولو تُرِكَ فيه الإظهارُ إلى الإضمار فقيل: « وبالحقِّ أنزلناه وبه نزل»: و« "قلْ هُوَ الله أَحدٌ هو الصَّمَدُ» لعُدِمَ حُسْنٌ ومزيةٌ لا خفاءَ بأمرِهما»[3].

وفي موضع آخر من دلائل الإعجاز في حديثه عن إدراك البلاغة بالحس والذوق نراه أورد مجموعة من الشواهد الدالة على حسن هذا الأسلوب وجمال موقعه من النفس، ومما أورده:

١- قول الشاعر:

أضيافُ عِمران في خِصْبٍ وفي سَعةٍ. . . وفي حِبَاءٍ وخَيرٍ غيرِ ممنوعِ
وضيفُ عمرٍو وعمرٌو يَسْهرانِ معاً. . . عمرو لبِطْنَتِه والضيفُ للجُوعِ[4]

٢- وقولُ لآخر:

وإنْ طُرَّةٌ راقَتْكَ فانْظُرْ فرُبَّما. . . أَمَرَّ مذاقُ العود والعود أخضر[5]

١- سورة الإسراء: ١٠٥

٢- سورة الإخلاص: ١، ٢

٣- دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني ١/١٧٠.

٤- البيت لبشار بن برد، كما في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١/٢٠٣، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ٣/٢٨٨.

٥- البيت في البيان والتبيين للجاحظ ١/١٠٠ بلا نسبة، وكذلك في الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر بن الأنباري ٢/٢٣٩،

٣- وقول المتنبي :

بمن نضرب الأمثال أم من نقيسه . . . إليكَ وأهْلُ الدهرِ دونكَ والدهرُ[١]

وقد علَّق على الشواهد السابقة بما يبين حسن موقع هذا الأسلوب من الحِس والذوق والوجدان، وأن الحالة النفسية للقارئ أو السامع تتأثر به تأثرا بليغا، فقال: «ليس بخفيٍّ على مَنْ لَهُ ذوقٌ أنه لو أتى موضع الظاهرِ في ذلك كله بالضمير فقيل:« وضيفُ عمروِ وهو يسهران معاً»، و« ربما أمرَّ مذاقُ العودِ وهو أخضر»، و« أهلُ الدهر دونَكَ وهو»، لعُدِمَ حُسْنٌ ومزيةٌ لا خفاءَ بأمرِهما، ليس لأنَّ الشعرَ يَنكَسِرُ، ولكنْ تنكره النفس»[٢].

ثم قال موضحا:« وقد يُرى في بادئ الرأي أنَّ ذلك من أجْل اللَّبْسِ، وأنكَ إذا قلتَ: « جاءني غلامُ زيدٍ وهو»، كان الذي يقَعُ في نفسِ السامعِ أنَّ الضميرَ للغلام، وأنكَ على أنْ تجيءَ له بخَبر، إلا أنَّه لا يستمرُّ، من حيثُ إنَّا نقول: « جاءني غلمانُ زيدٍ وهو»، فتَجِدُ الاستنكارَ ونبُوَّ النفسِ، مع أنْ لا لَبْسَ مثْلَ الذي وجدْناه. وإذا كان كذلك، وجَب أن يكونَ السببُ غيرَ ذلك»[٣].

ثم ذكر رحمه الله مجموعةً أخرى من الشواهد التي استعمل فيها أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، ومن ذلك:

١- البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة يمدح بها عبد الله بن يحيى البحتري المنبجي، ديوانه، ص:١٦٦.

٢- دلائل الإعجاز ١/٥٥٦.

٣- دلائل الإعجاز ص:٥٥٧.

١- قول شاعر الحماسة:

شَدَدْنا شَدَّةَ الليثِ . . . غدا والليثُ غضبانُ[١]

٢- قول النابغة:

نفْسُ عصامٍ سوَّدتْ عِصاما. . . وعلَّمَتْهُ الكرَّ والإقداما[٢]

ثم قال معلقا على ما في ذلك من البلاغة والبيان: « لا يخفَى على مَنْ له ذوقٌ حسَنٌ هذا الإظهارَ، وأنَّ له موقعاً في النفس، وباعثًا للأريحية، لا يكون إذا قيل: "نفسُ عصامٍ سَوَّدته"، شيء منه البتة". ا. هـ كلامه بتصرف يسير[٣].

ومما تقدم نرى ما لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار من مكانة كبيرة عند البلاغيين، ولذلك اهتموا به في مؤلفاتهم، وتناولوه بالدراسة والتحليل مبينين ما له من أغراض يقصدها المتكلم، وهو ما سيعرض له المطلب التالي:

١- البيت في حماسة أبي تمام ضمن مجموعة أبيات أخرى، وهو منسوب لشهل بن شيبان الزماني، والملقب بالفند وهي القطعة العظيم من الجبل، وقد علق المرزوق على استعمال الشاعر لهذا الأسلوب، فقال:« كرَّر الليث ولم يأت بضميره تفخيماً وتهويلاً، وهم يفعلون ذلك في أسماء الأجناس والأعلام. قال عدي:
لا أرى الموت بسبق الموت شيء ... نغَّص الموت ذا الغنى والفقيرا .
ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ص: ٢٧، اللآلي شرح أمالي القالي ٥٧٨/١، الأغاني ٨٣/٢٤.

٢- البيت للنابغة الذبياني، ينظر: جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، ص:٥٤.

٣- دلائل الإعجاز ص:٥٥٧.

المطلب الثاني: أغراض الإظهار في مقام الإضمار عند البلاغيين

تناول البلاغيون أسلوب الإظهار في مقام الإضمار بالبحث والدراسة وبيان أغراضه ودلالاته، وتأثيره على النفس والحس والوجدان، وذلك عند حديثهم عن أحوال المسند إليه، وبينوا أن الإظهار في مقام الإضمار خروج على مقتضى الظاهر، ولهذا الخروج أغراض، يبتغيها المتكلمون من البلغاء والشعراء.

وتختلف أغراض الإظهار في مقام الإضمار حسب اختلاف أنواع المسند إليه، فإذا كان المسند إليه اسم إشارة كان لإظهاره في مقام الإضمار أغراض، وإذا كان غير ذلك فلإظهاره أغراض، وهذا تفصيل لذلك الإجمال:

أولا: أغراض الإظهار في مقام الإضمار إذا كان المسند إليه اسم إشارة:

١- كمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع، كما في قول الشاعر:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه . . . وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة . . . وصير العالم النحرير زنديقا[1]

١- البيتان لأبي العلاء المعري كما في طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ٢٣٢/٤، وينسبان لابن الراوندي، وقوله "هذا" إشارة إلى حكم سابق غير محسوس وهو كون العاقل محرومًا، والجاهل مرزوقًا فكان المقام مقام المضمر لكنه لما اختص بحكم بديع عجيب الشأن وهو جعل الأوهام حائرة، والعالم النحرير زنديقًا كملت عناية المتكلم بتمييزه، فأبرزه في معرض المحسوس. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة بتحقيق أ. د. محمد عبد المنعم خفاجي ٨٢/٢.

٢- ادعاء أن الاسم المظهر قد كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر، كقول الشاعر:

تعاللتِ كي أشجَى وما بك علة ... تريدين قتلي، قد ظفرتِ بذلك[١].

٣- التعريض بضعف فهم السامع، وبيان أن الأشياء لا تتميز عنده إلا بالإشارة الحسية، كقول الفرزدق يهجو جريرًا، ويفتخر عليه:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع[٢]

ثانيا: أغراض الإظهار في مقام الإضمار إذا كان المسند إليه غير اسم إشارة

١- زيادة التمكين، أي: جعل المسند إليه متمكنًا عند السامع؛ لأن في الإظهار من التفخيم والتعظيم ما ليس في الإضمار، والمقام الذي يقتضي التمكن هو كون الغرض من الخطاب تعظيم المسند إليه. كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ

١- البيت لمرة بن عبد الله الهلالي، وقوله: "تعاللت" بمعنى ادعاء العلة. وقوله: "أشجى" بمعنى أحزن، وقد وضع اسم الإشارة موضع الضمير؛ لأن الظاهر أن يقال: قد ظفرتِ به أي: بالقتل، والداعي إلى ذلك هو ادعاء كمال ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ١/١٣٦.

٢- والشاهد قوله: "أولئك آبائي" حيث أورد المسند إليه "اسم إشارة" قصدًا إلى أن يَصِمَ جريرًا بوصمه الغباوة، وأنه لا يدرك إلا المُحَسّ بحاسة البصر، ولو أنه عدد آباءه بأسمائهم، فقال: فلان وفلان آبائي لم يكن فيه ما أراد الشاعر من التعريض عند من له ذوق سليم.

أحَد، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[١]، وقوله: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[٢].

وقول الشاعر:

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله. . . "والدرع محقبة والسيف مقروب[٣]

بدل نعطكم إياه.

٢- تقوية داعي المأمور، مثل قول الخلفاء: أمير المؤمنين يأمرك بكذا، بدلا من أنا آمرك بكذا[٤].

٣- الاستعطاف كقول الشاعر:

إلهي عبدك العاصي أتاكا. . . مقرا بالذنوب وقد دعاكا[٥].

تعليق على الأغراض السابقة

ليس في دراسة البلاغيين لهذا الأسلوب غير الأغراض السابقة، أمّا الذين عُنوا بعلوم القرآن فكانت نظرتهم أوسع، ومسائلهم أكثر تشعبا واستيعابا، ذلك بأن المُلاحظ على تناول البلاغيين لهذا الأسلوب اقتصارهم على شواهد

١- سورة الإخلاص: ١-٢.

٢- سورة الإسراء: ٥.

٣- البيت لعبد الله بن عنمة كما في المفضليات للضبي ص:٣٨٢، والأصمعيات ص/٢٢٨.

٤- عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح ٢٦٧/١، أساليب بلاغية، د. أحمد مطلوب، ص: ٢٥٠.

٥- الإيضاح٨٢/٢. والبيت في معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي بلا نسبة، ١٧٠/١. ونسبه الشيخ عبد المتعال الصعيدي في بغية الإيضاح لإبراهيم بن أدهم١٣٧/١. وكان الظاهر أن يقول: « أتيتك» لكنه أظهر وصف العبودية لغرض الاستعطاف.

الشعر العربي، مع ذكر نماذج يسيرة من شواهد التنزيل الحكيم، وأما في ميدان البلاغة القرآنية، فإن المجال أرحب، والميدان أوسع، وقد احتل هذا الأسلوب مساحة ليست باليسيرة في حقل البلاغة القرآنية، وأخذ مساحة رحبة في الدراسات القرآنية واهتم به المؤلفون في تلك الدراسات اهتماما كبيرا، وأوسعوا له مساحة غير قليلة في دراساتهم، حيث عززوا أغراضه بالشواهد القرآنية الكثيرة التي أوضحت بجلاء ما لهذا الأسلوب من أهمية كبيرة في التنزيل الحكيم، فقد عقد له صاحب البرهان مبحثا في النوع السادس والأربعين(في أساليب القرآن وفنونه البليغة) ، وذكر له سبعة عشر غرضا[1]، وتناوله أيضا السيوطي في الإتقان، ومعترك الأقران[2]، وذكر له أغراضا معظمها مقتبس من برهان الزركشي.

ثم توسع المفسرون في تناول هذا الأسلوب في تفاسيرهم توسعا فاق تناول المؤلفين في علوم القرآن والبلاغة القرآنية نظرا لوفرة الشواهد القرآنية التي يتعرض لها المفسر من أول القرآن إلى آخره.

١- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ٤٨٢/٢. تحت عنوان: وضع الظاهر موضع المضمر

٢- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ٢٤٤/٣، معترك الأقران ٢٧٤/١.

وفيما يلي مزيد بيان لتلك الأغراض والدلالات لهذا الأسلوب في رحاب القرآن الكريم، من خلال تفسير العلامة أبي السعود العمادي رحمه الله تعالى، والذي كان لاستنباطاته أثر كبير فيمن أتى بعده من المفسرين حيث نقلوا عنه تلك الأغراض، كما سيتبين في الصفحات التالية.

المبحث الثاني

أغراض الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم في تفسير الإمام أبي السعود رحمه الله تعالى.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

الإظهار لأغراض تتصل بالاسم المظهر.

من خلال التأمل في الأغراض التي ذكرها الإمام أبو السعود – رحمه الله– الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم، رأيت أن الإظهار في بعضها كان لخصوصية تتعلق بلفظ بالاسم المظهر، وفي بعضها الآخر كان الإظهار راجعا إلى مضمون الجملة التي وقع فيها الإظهار في مقام الإضمار، فقسمت الأغراض على هذا الإساس إلى هذين النوعين، على أن هذا التقسيم قد يتداخل في بعض الأغراض.

ويدخل تحت النوع الأول: الإظهار لقصد العناية بالاسم المظهر، والاهتمام بشأنه، أو لمدحه وتشريفه وتفخيمه، أو للتلذذ بذكره، أو لإدخال الروعة والمهابة بذكره، أو لزيادة تعيينه، وفيما يلي توضيح وتفصيل لذلك الإجمال.

١- الإظهار للاعتناء بشأن الاسم المظهر.

أظهر القرآن في موضع الإضمار لبيان كمال العناية بشأن الاسم المظهر نظرا لأهميته بالنسبة للمخاطبين ومكانته في واقع حياتهم، فكان إظهاره في

موضع الإضمار لفتا للأنظار إليه، وإحضارا له في الصورة ليكون ذلك باعثا على العناية به.

وقد أدرج الإمام أبو السعود تحت هذا الغرض شواهد كثيرة، منها:

١- إظهار لفظ « الحج» في موضع الإضمار في قوله تعالى:﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[١].

حيث ذكر أن القرآن الكريم أظهر لفظ « الحج» في موضع الإضمار «لإظهار كمالِ الاعتناءِ بشأنه، والإشعارِ بعِلة الحُكم؛ فإن زيارةَ البيت المعظَّم، والتقرُّبَ بها إلى الله عزَّ وجلَّ من موجبات تركِ الأمورِ المذكورة»[٢]؛ فإن تلك المنهيات مدنِّسة لمن قصد السلوك إلى ملك الملوك[٣].

ولا ريب أن عدول القرآن الكريم عن قوله:« فمن فرضه فيهن فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فيه» إلى ما وردت عليه الآية للاهتمام بتلك الفريضة العظيمة، « فإن الحج مِنْ بَيْنِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ عِبَادَةُ الْعُمْرِ، وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدين، فيه أنزل الله عز وجل:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٤]، فأعظِمْ بعبادة يعدِم الدين بفقدها الكمال، ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال، وَأَجْدِرْ بِهَا

١- سورة البقرة: ١٩٧.
٢- إرشاد العقل السليم١/٢٠٧، وينظر: محاسن التأويل ٢/٧١.
٣- روح المعاني١/٤٨١.
٤- سورة المائدة:٣.

أَنْ تُصْرَفَ الْعِنَايَةُ إِلَى شَرْحِهَا، وتفصيل أركانها، وسننها، وآدابها، وفضائلها، وأسرارها»[1]

وقد ذكر الإمام أبو السعود لإظهار الحج غرضا آخر، وهو الإشعار بعلة تحريم الرفث، والفسوق، والجدال في الحج؛ لأن تلك الأمور لا تليق بتلك الفريضة العظيمة، ولا تتناسب مع جلالتها، فكان إظهار لفظ الحج في حد ذاته كفيلا بتذكير الحاج بعظمة وشرف تلك الفريضة، زمانا، ومكانا، وحالا.

ولا يمتنع أن يكون للأسلوب الواحد أكثر من غرض وسيأتي لذلك أمثلة كثيرة يجتمع فيها أكثر من غرض لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار، وهذا من دلائل إعجاز القرآن الكريم، وبلوغه في ذلك الغاية التي ليس وراءها غاية.

٢- إظهار لفظ «الحكمة» في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾[2].«لإظهار الاعتناءِ بشأنها، وللإشعار بعِلة الحِكم»[3].

وكان الظاهر أن يقال: «ومن يؤْتَها»، ولكن القرآن قصد بهذا الإظهار إلى الاعتناء بشأن الحكمة، ولفت الأنظار إلى ما لها من مقام عظيم، وفي معنى الحكمة أقوال، قيل هي: المعرفة بالقرآن ومواعظه، وما فيه من عجائب الأسرار، وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل هي: العلم والعمل به، وقيل

١- إحياء علوم الدين ٢٣٩/١. بتصرف يسير

٢- سورة البقرة:٢٦٩.

٣- إرشاد العقل السليم ٢٦٢/١، وينظر: روح المعاني ٤١/٢.

هي: معرفة معاني الأشياء وفهمها، وقيل هي: الإقدامُ على الأفعال الحسنةِ الصائبة، وقيل: معرفة حقائق الأشياء، وقيل: النبوة [1].

ولا ريب أن تلك المعاني المذكورة في المراد بالحكمة مما يرشح إبرازها في معرض النطق دون الكناية عنها، لتهتم النفوس بأمرها وتعتني بشأنها.

والغرض الآخر هو التعليل لكثرة الخير الذي يؤتاه من يؤتى الحكمة، وكفى بها عطاءً.

٣- إظهار لفظ « النور» في قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

وكان حقه الإضمار لو جرى الكلام على مقتضى الظاهر، فيقال:« والله متمه» ولكن القرآن أظهره اهتماما وعناية بشأن هذا النور العظيم، فهو نور الله !

قال الإمام أبو السعود – رحمه الله–:« وفي إظهار النورِ في مَقام الإضمارِ مضافاً إلى ضميره عزَّ وجلَّ زيادةُ اعتناءٍ بشأنه وتشريفٌ له على تشريف وإشعارٌ بعِلة الحُكم»[3].

١- جامع البيان للطبري ٥٦٧/٥، الكشاف ٣١٦/١، أنوار التنزيل للبيضاوي ١٦٠/١، إرشاد العقل السليم ٢٦٢/١، روح المعاني للألوسي ٤٠/٢.

٢- سورة التوبة :٣٢.

٣- إرشاد العقل السليم ١٧١/٥، روح المعاني ٢٧٧/٥.

والمراد بنور الله في الآية إما: هُداهُ الصادر عن القرآن، أو: حجتُه الدالةُ على وحدانيته وتقدسه عن الولد، أو: القرآن، أو: نبوة محمد – صلّى الله عليه وسلّم– أو: الشريعة الغراء(١).

والنور بهذه المعاني له من الأهمية ما يبعث على الاعتناء بأمره، فلذلك أظهره القرآن ليكون حاضرا قائما في وجوه من يريدون أن يطفئوه، وكأن القرآن يريد بهذا الإظهار أن يعامل الكارهين لنور الله تعالى بنقيض مقصودهم، حيث أرادوا طمس معالم الوحي والنبوة من القلوب والآفاق، فأبي عليهم ذلك، وأظهر نوره في حيز النطق تبشيرا بإظهاره في حيز الوجود مرغما لآنافهم، بإظهار النور وتكراره في الحديث قصدا لإغاظتهم، وبعثا للحسرة واليأس في نفوسهم، ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الصف:﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢).

وفي القرآن الكريم لهذا لغرض شواهد كثيرة جاء فيها الإظهار في موقع الإضمار اهتماما بشأن الاسم المظهر، تعرض لها الإمام أبو السعود –رحمه الله– مبينا دلالة الإظهار وبلاغته في تلك المواضع(٣).

١– المحرر الوجيز لابن عطية ٢٦/٣، تفسير البيضاوي ٧٩/٣، البحر المحيط ٤٠٥/٥.

٢– سورة الصف:٨.

٣– من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ الإسراء:٢٠، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ الأسراء: ٣٤، وقوله تعالى:﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨،=

ولا ريب أن المخاطبين بالقرآن مدعوون إلى العناية بما اعتنى به القرآن، وتلك هي الحكمة من وراء الإظهار في مواضع الإضمار فيما تقدم من أمثلة، في المتن والحاشية.

ومما هو بسبيل من غرض الاهتمام بشأن الاسم المظهر ما وضعه الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى تحت غرض الإظهار للتفخيم والتشريف[1].

حيث علل لبعض مواضع الإظهار في مقام الإضمار بأن الغرض منها تشريف الاسم المظهر وتفخيمه، ومن ذلك:

==وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ...﴾ الإسراء:٨٥، فقد بين رحمه الله أن القرآن أظهر ألفاظ: العطاء، والعهد، والفجر، والروح اهتماما بشأنها وبيانا لأهميتها، وعناية بتلك المفاهيم المهمة في واقع حياة المسلمين، ولا ريب أن التعبير يتأثر كثيرا بين الإظهار والإضمار، إذ فرق كبير بين ما في الآيات الكريمة، وبين أن يقال في عطاء ربك: وما كان عطاؤه، وأن يقال وأوفوا بالعهد إنه كان مسؤولا، وأن يقال وقرآن الفجر إن قرآنه كان مشهودا، وأن يقال: ويسألونك عن الروح قل هو من أمر ربي. ينظر: إرشاد العقل السليم ٥/ ١٦٥، ١٨٩، ١٩٢. روح المعاني ٤٦/٨، ٦٩، ١٣١، ١٤٦.

١- التَّفْخِيمُ هو: التَّعْظِيمُ، يُقالُ: أَتَيْنَا فُلانًا فَفَخَّمْناهُ أَي: عَظَّمْنَاهُ ورفَعْنَا مِنْ شَأْنِهِ، وَفِي شمائل الترمذي ص:٢٢، ودلائل البيهقي٢٨٦/١:« كَانَ النبيُّ – صلّى الله عَلَيْهِ وسلّم– فَخْمًا مُفَخَّمًا»، أَيْ: عَظِيمًا مُعَظَّمًا فِي الصَّدُورِ والعُيونِ، ويراد بالتفخيم هنا رفع شأن الاسم المظهر وبيان قدره الشريف، ومحله المنيف، وذلك بإظهار لفظه دون ضميره، وهو كالتكريم الذي تفعله المؤسسات والمجتمعات عندما تشيد بأسماء عظمائها وأصحاب التأثير فيها، بذكر أسمائهم في كل مناسبة إشادة بهم وتنويها بأمرهم .

١- قوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[١].

فقد جاء كلا من لفظ الجلالة مع لفظ الحب مظهرا في موضع الإضمار والغرض من ذلك هو تفخيم وتشريف الحب المضاف إليه -جلا جلاله-، فهو ليس حبا عاديا إنما هو حب الله تعالى الذي له كل كمال وجلال، وهو أعلى وأغلى أنواع الحب، وقد جاء ذلك في معرض الحديث عن حب المشركين لآلهتهم ورؤسائهم كما يحب المؤمنون ربهم، لكنها بينت أن حب المؤمنين لله وأعلى وأشرف، وأنه لا مقارنة بين نوعي الحب على الإطلاق، وقد جلت الآية ذلك المعنى بإظهار الحب مضافا إلى لفظ الجلالة تشريفا له، وتفخيما لشأنه بتلك الإضافة الكريمة، وهذا ما لمحه أبو السعود رحمه الله تعالى، فقال:« وإيثارُ الإظهار في موضعِ الإضمارِ لتفخيمِ الحُبِّ والإشعارِ بعلّته»[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا - وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا-﴾[٣].

فقد أظهرت الآية لفظ « إبراهيم » عليه السلام في موضع الإضمار قصدا إلى تفخيم شأنه -عليه السلام- وتعظيما لأمره ورفعا لمقداره، وهذا ما قرره

١- سورة البقرة:١٦٥.
٢- إرشاد العقل السليم ١٨٦/١.
٣- سورة النساء: ١٢٥.

العلامة أبو السعود رحمه الله فقال:« وإظهاره – صلى الله عليه وسلم– في موقع الإضمار لتفخيم شأنِه، والتنصيصِ على أنه الممدوحُ، وتأكيدِ استقلالِ الجملةِ الاعتراضية»[1].

ولا ريب أن لفظ الخلة مختص بسيدنا إبراهيم –عليه السلام–، ومعناها أن الله اصطفاه وخصَّه بكرامات تُشبه كراماتِ الخليلِ عند خليله[2]، وهذا بلا شك مكان عال، ومحل رفيع، فكان الإظهار تفخيما وتعظيما لمقام ذلك النبي الكريم – عليه السلام– وفرق كبير بين أن يكون التعبير: «واتخذه الله خليلا» بالإضمار، وأن يكون كما ورد عليه التنزيل.

قلت: وهذا الملمح في تفسير الإمام البيضاوي– رحمه الله–[3]، وقد زاد عليه الإمام أبو السعود غرضا آخر للإظهار وهو: تأكيد استقلال الجملة الاعتراضية.

٣–قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4].

١– إرشاد العقل السليم ٢/٢٣٦، وينظر: البحر المديد١/٥٦٥، روح المعاني ٣/١٤٨، محاسن التأويل ٣/٣٥١.

٢– الخُلَّةُ: المودّة، إمّا لأنّها تتخلّل النّفس، أي: تتوسّطها، وإمّا لأنّها تخلّ النّفس، فتؤثّر فيها تأثير السّهم في الرّميّة، وإمّا لفرط الحاجة إليها، يقال منه: خاللته مُخَالَّة وخِلَالًا فهو خليل. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص:٢٩٠(خل) .

٣– أنوار التنزيل للبيضاوي ٢/١٠٠.

٤– سورة الجاثية:٣٦، ٣٧.

جاء الإظهار في الآية للسماوات والأرض في موضع الإضمار ولو جرى على الظاهر لقال:« وله الكبرياء فيهما» بيانا لفخامة وعظمة كبريائه تعالى الشامل لكل من في السماوات والأرض لا يتأبى عليه أحد فيهما، ولا شك أن ذلك مما يجلي بعض مظاهر عظمته تعالى وعظمة كبريائه الذي لا يخرج أحد عن سلطانه، ولو قال :« وله الكبرياء فيهما» لما كان له هذا الوقع الذي يحدث في النفس من قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حيث يترك للسامع فرصة يجول فيها بفكره في أرجاء السماوات والأرض على سعتهما، وعظمتهما، فيعود وقد أيقن بعظمة كبرياء ربه- تعالى- الذي لا تبلغ كنهَهُ الأوهام، ولا تتوصل إلى معرفة قدره العقول والأفهام، قال شيخ الإسلام: «وإظهارهما في موقعِ الإضمارِ لتفخيمِ شأنِ الكبرياءِ»[1].

وقد جاء لفظ (الرب) مظهرا أيضا في الآية تعزيزا لذلك المعنى، وذلك للتأكيد ولبيان أن ربوبيته – تعالى- شاملة للكل لا يخرج أحد عن مربوبيته سبحانه وتعالى[2].

٤- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

١- إرشاد العقل السليم ٧٦/٨.
٢- روح المعاني ١٦٠/١٣.
٣- سورة آل عمران:١٥٢.

فقد أظهرت الآية لفظ ﴿ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وكان الظاهر أن يكون التعبير « والله ذو فضل عليكم» وذلك تشريفا لهم بوصف الإيمان الذي هو أحسن ما يوصف به إنسان؛ إذ هو تصديق بالله تعالى ونسبة إليه وهي بلا شك أشرف نسبة، قال الإمام أبو السعود:« والمرادُ بالمؤمنين إما المخاطبون، والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ للتشريفِ والإشعارِ بعلة الحُكم، وإما الجنسُ، وهم داخلونَ في الحكم دخولاً أولياً»[1].

قلت: والوجه الثاني الذي ذكره الإمام أبو السعود – رحمه الله– أرجح، لأنه أعم وأشمل.

وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة تندرج تحت هذا الغرض، أوردها الإمام أبو السعود –رحمه الله– تعالى مبينا أن الغرض من الإظهار في مقام الإضمار فيها هو تفخيم شأن الاسم المظهر وتشريفه، بالإضافة إلى أغراض أخرى تحتملها الآية[2].

١– إرشاد العقل السليم٢/٩٩.

٢– من ذلك: قوله تعالى: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، النور: ٣٥، حيث أظهر القرآن لفظ النور لزيادة تقريره وتأكيدِ فخامتِه الذَّاتيَّةِ بفخامتِه الإضافيةِ النَّاشئةِ من إضافتِه إلى ضميره عزَّ وجلَّ وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ حيث أظهر لفظ الكتاب مضافا إلى لفظ الجلالة تشريفا له وتفخيما، وتأكيدا لوجوب المراجعة إليه.

– قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة:٢٢، حيث أظهر حزب الله مضافا إلى لفظ الجلالة تشريفا لهم وبيانا لاختصاصهم به تعالى.==

٢- الإظهار لتربية المهابة، وإدخال الروعة

ويقصد بهذا الغرض إدخال الروعة في قلب المخاطب بما يقذفه فيه الاسم المظهر من هيبة وجلال لما له من صفات يستحضرها السامع عندما يطرق سمعَه الاسم الظاهر.

وقد تجلى هذا الغرض في أوضح صوره في مواضع إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار في القرآن الكريم؛ ذلك لأن للفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعًا عظيمًا في القلوب، وإظهاره في معرض الخطاب في موضع الإضمار إنما يراد منه إلقاء الروع في قلوب المخاطبين أيا كان نوعهم لما لهذا الاسم الجليل من صفات الجلال التي تنخلع لها القلوب.

يقول الدكتور محمد أبو موسى:« وخذ المصحف واقرأ فيه من أي موضع تشاء تجد هذا الأسلوب، وكأنه أصل من أصول البلاغة القرآنية، تجد أسماء

=== قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة:٥٦، للغرض ذاته، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ* فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ الطور: ١٨، حيث أظهر لفظ الرب مضافا إلى ضميرهم تشريفا لهم وتفخيما بتلك النسبة التي لا نسبة أشرف منها ولا أعظم.

– قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ التغابن:١٢، حيث أظهر لفظ الرسول مضافا إلى نون العظمة لتشريفِهِ– عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ– والإشعار بمدارِ الحكمِ الذي هوَ كونُ وظيفته عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ محضَ البلاغِ ولزيادةِ تشنيعِ التولِّي عنْهُ.

ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٧٨/٦، ٢٠/٢، ٢٢٤/٨، ٢٥٨/٨.

الله الحسنى، وخصوصًا هذا الاسم الأعظم يقع هذا الموقع في كثير من الجمل القرآنية لينساب نورها الغامر في القلوب، وتشيع مدلولاتها فتتمكن من النفوس زيادة تمكن، وتتقرر في السرائر أحسن قرار، وبذلك تتربى مهابة الحق وحده في الأمة التي يربيها القرآن، فلا يكون في صدرها خشية إلا لله وللحق[١].

وقد ذكر الإمام أبو السعود – رحمه الله تعالى– أمثلة كثيرة لهذا الغرض، منها:

١– قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

كُرر لفظُ الجلالة في الجمل الثلاث « لإدخال الروعةِ، وتربيةِ المهابةِ، وللتنبيه على استقلالِ كل منها بمعنى على حياله؛ فإن الأولى حثٌّ على التقوى، والثانية وعدٌ بالإنعام، والثالثة تعظيمٌ لشأنه تعالى»[٣]. وقد أفاد الإمام أبو السعود هذا المعنى من تفسير العلامة البيضاوي رحمه الله[٤]، والمتأمل في هذا الأسلوب يدرك الفرق بينه وبين ما لو جاء على الظاهر فقال: «واتقوا الله ويعلمكم وهو بكل شيء عليم».

٢– قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ

١– خصائص التراكيب د. محمد محمد أبو موسى، ص:٢٤٧

٢– سورة البقرة:٢٨٢.

٣– إرشاد العقل السليم١/٢٧١.

٤– أنوار التنزيل ١/١٦٥.

بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ »[١].

ولا ريب أن إظهار لفظ الجلالة في موطن الامتنان بالعفو مما يبعث في نفس المعفوِّ عنهم شعورا من المهابة حين يستحضرون صفاته، وكيف أنهم خالفوا أمره مع ما له من تلك الصفات، إضافة إلى ما فيه من معنى التعليل المشار إليه؛ فإنه – تعالى–عفا عنهم لأن العفو من صفاته[٢]، ولو جرى على الظاهر لقال: «ولقد عفا الله عنهم إنه غفور حليم»، والفرق بين التعبيرين واضح .

٣–قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٣].

وقد أظهر القرآن لفظ الجلالة في هذا الموضع لأن الحديث فيه عن أداء الأمانات إلى أهلها ولإظهار لفظ الجلالة أثر كبير في تخويف الخائنين لأماناتهم من عقابه جل جلاله، ومقام المواعظ يقتضي مثل ذلك التعبير، قال الإمام أبو السعود:« وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة»[٤].

١– سورة آل عمران:١٥٥.
٢– ينظر: إرشاد العقل السليم٢/١٠٣.
٣– سورة النساء:٥٨.
٤– إرشاد العقل السليم ٢/١٩٣.

والمتأمل في المواضع السابقة يرى أن إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار إنما هو لاقتضاء المعنى إظهاره؛ حيث إن المعاني التي تتحدث عنها الآيات مما يُحتاج في تقريرها إلى نوع من الهيبة والتخويف، وهو لا يحدث إلا بذلك الإظهار الذي يُحدث في القلوب تلك الهيبة والروعة بما للاسم الجليل من صفات العزة، والجلال، والقهر، والغلبة، التي يستحضرها السامع، والمخاطب، فيكون لها تأثير كبير في انقياده لما يُتلى عليه من أوامر ونواه، فينقاد ويطيع، ولو جرى التعبير على الإضمار كما يقتضيه ظاهر الكلام لفاتت تلك المعاني.

وهناك أمثلة كثيرة جدا لهذا الغرض في القرآن الكريم، تعرض لها شيخ الإسلام أبو السعود رحمه الله تعالى، مبينا أن الغرض من إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار هو تربية المهابة في القلوب بما يوحيه لفظ الجلالة من عظمة ومهابة[1].

١- من تلك المواضع: قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ التوبة: ٢.
وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ النور:٤٢.
وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ...﴾ المائدة:١٢.
وقوله تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال:١٣.
وقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ النساء:٨٤. ==

٣- الإظهار للمدح والثناء.

وهو من أغراض الإظهار في مقام الإضمار حيث يعدل القرآن عن الكناية بالضمير إلى التصريح بوصف ظاهر لمغزى، وهو: مدح المخاطبين بذلك الوصف والثناء عليهم به، وبيان أنهم أهل لأن يتصفوا به.

وقد ذكر الإمام أبو السعود لذلك الغرض شواهد، منها:

١- قوله تعالى:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[١].

حيث أظهرت الآية الكريمة لفظ« الصابرين» وكان يمكن أن يكنى عنهم بالضمير فيقال:« والله يحبهم» إلا أنه عدل عن ذلك ليتأتى مدحهم بصفة الصبر التي بها ثبتوا عند الشدائد وملاقاة المكاره مع أنبيائهم، فكانوا جديرين بحب الله –تعالى– لهم بسبب تلك الصفة، فأظهرها القرآن في موضع الإضمار قصدا للثناء عليهم بها، وبيان أثرها في تلك المحبة، قال الإمام أبو السعود:« والمرادُ بالصابرين إما المعهودون والإظهارُ في موضعِ الإضمارِ

==وقد بين الإمام أبو السعود رحمه الله أن إظهار لفظ الجلالة في كل ما سبق لتربية المهابة في القلوب. ينظر: إرشاد العقل السليم:١٨٤/٦، ١٤/٣، ١١/٤، ٤١/٤، ١٨٤/٦، ٢١٠/٢

١- سورة آل عمران:١٤٦.

للثناء عليهم بحسن الصبرِ، والإشعارِ بعلة الحُكم، وإما الجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً»[1].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2]. وقد جاء لفظ« المحسنين» مظهرا في موضع الإضمار بدلا من « وكذلك نجزيهم» بيانا لمرتبة الإحسان التي اتصفت بها تلك الثلة المباركة من أنبياء الله تعالى المذكورين في السياق، وقصدا إلى مدحهم والثناء عليهم بها، ولا ريب أنهم أجدر الناس بها، ولو جاء السياق على مقتضى الظاهر لفات تسجيل ذلك المعنى، قال أبو السعود: «والإظهارُ في موضعِ الإضمارِ للثناء عليهم بالإحسان الذي هو عبارةٌ عن الإتيان بالأعمال الحسنة على الوجه اللائقِ الذي هو حسنها الوصفيُّ المقارِنُ لحُسنها الذاتي، وقد فسَّره عليهِ الصَّلاة والسَّلام بقولِه «أنْ تعبدَ الله كأنَّك تراهُ فإنْ لم تكن تراهُ فإنَّهُ يَرَاكَ»[3].

١- إرشاد العقل السليم ٩٦/٢.

٢- سورة الأنعام: ٨٤.

٣- إرشاد العقل السليم ١٥٨/٣. والحديث في صحيح البخاري كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، رقم: ٥٠.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[١].

قال أبو السعود:« والمرادُ بالمتقين إما الأمةُ المعهودةُ، وُضِع موضِعَ الضميرِ العائدِ إليهم مدحاً لهم، وتعييناً لعُنوان تعلّقِ العلمِ بهم، وإشعاراً بمناط إثابتهم، وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفةِ، وإما جنسُ المتقين عموماً وهم مندرجون تحت حكمه اندارجا أوليا»[٢].

وإظهار «المتقين» في موضع الإضمار للثناء على مؤمني أهل الكتاب الذين سبقت بعض صفاتهم قبل هذه الآية وذلك في قوله تعالى:﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُون * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٣]، وقد أهَّلتهم تلك الصفات العالية لأن يمدحهم القرآن بوصفهم بالمتقين، حيث أتوا بأهم أركانها، فجاء تذييل الآية التالية بإظهار صفة التقوى في معرض الإضمار بيانا لأنهم أهل لها، وأحق من يوصف بها مدحا لهم وثناء عليهم بها.

٤- قوله تعالى:﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[٤]

١- سورة آل عمران:١١٥.
٢- إرشاد العقل السليم٢/٧٤.
٣- سورة آل عمران:١١٣، ١١٤.
٤- سورة النحل:١٢٦.

فقد أظهر القرآن لفظ الصابرين «مدحاً لهم وثناءً عليهم بالصبر»[1].

وهذا المعنى مستفاد من تفسير العلامة الزمخشري رحمه الله تعالى[2]

قلت: ويمكن أن يضاف إلى غرض المدح والثناء في الشواهد السابقة غرض آخر، هو تأكيد استقلال الجمل الواقع فيها الاسم المظهر، لتكون كالقاعدة العامة المطردة التي تسري على المذكورين وعلى غيرهم ممن يعمل عملهم، وخصوصا في الشواهد التي وقع فيها هذا الأسلوب في ختامها، ولا يمتنع أن يجتمع على الموضع الواحد أكثر من غرض من أغراض الإظهار في مقام الإضمار، وستأتي شواهد لغرض استقلال الجملة في موضعها من البحث إن شاء الله تعالى.

٤- الإظهار للتلذذ بالاسم المظهر.

من أغراض الإظهار في مقام الإضمار: التلذذ بالاسم المظهر، وذلك لمعان تَرِدُ على الأذهان وخواطر ترد على القلوب عند ذكر الاسم المظهر، فيحدث بسببها اطمئنان، أو ارتياح، أو قوة، أو غيرها من مشاعر تتوارد على القلوب، وتؤثر في المتكلم أو السامع.

وقد تجلى هذا الغرض في إظهار لفظي الألوهية أو الربوبية في موضع الإضمار، ومن ذلك:

١- إرشاد العقل السليم٥/١٥٢.

٢- الكشاف ٢/٦٤٥.

١- إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار قوله تعالى:﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١]، للتلذذ بذكره- تعالى- والارتياح للفظه حيث تهون عند ذكره كل شدة، وتزول بذكره كل كربة، وتتلاشى به كل محنة، وذكره تطمئن به القلوب الوجلة، وترتاح به النفوس المتعبة، وتأمن به الأرواح الخائفة.

وفي الآية الكريمة جاء الحديث عن الإيمان بقضاء الله وقدره وأنه لا يصيب المؤمن شيء إلا بتقدير العزيز العليم، ردا على المنافقين الذين كانوا يشمتون بالنبي وأصحابه عند المصائب، فكان الرد بهذه الآية، وجاء فيها لفظ الجلالة في موضع الإضمار حيث كان الظاهر أن يقال: « وعليه فليتوكل المؤمنون»، ولكن القرآن عدل إلى ما عليه النص الكريم تلذذا بذكر الله الذي تطمئن بذكره القلوب ،وترتاح به النفوس، وهذا أحد وجهين في معنى الآية ذكرهما أبو السعود فقال:« والجملةُ إن كانت من تمامِ الكلامِ المأمورِ به فإظهارُ الاسمِ الجليلِ في مقام الإضمارِ لإظهار التبرُّكِ والتلذذِ به، وإن كانت مَسوقةً من قِبله تعالى أمراً للمؤمنين بالتوكل إثرَ أمرِه – صلى الله عليه وسلم- بما ذكر، فالأمر ظاهر»[٢].

٢- إظهار لفظ الرب قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي

١- سورة التوبة:٥١.

٢- إرشاد العقل السليم٤/٧٣.

شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[١].

قال أبو السعود: « وفي الإظهار في موضع الإضمار تأكيدٌ للمعنى المذكور واستلذاذٌ بذكره تعالى»[٢].

٣- وكذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[٣]

قال أبو السعود:« وإظهارُ ربي في موقع الإضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقريرِ والإشعارِ بعِلة الحُكم فإن الربوبيةَ مما يقتضي عدمَ الضلالِ والنسيانِ حتماً»[٤].

والمتأمل في شواهد هذا الغرض يرى أن المظهر كان لفظ الجلالة أو الربوبية في مواضع الحجاج مع المعارضين، أو الرد على شبهات الطاعنين، ولا ريب أن إظهاره في مثل تلك المواطن مما يثبت القلوب ويقذف فيها شعاعا من الأمن والسكينة التي تستطيع أن تواجه به كل شدة ومكروه.

قلت: توجد أمثلة أخرى ورد فيها لفظ الربوبية أو الألوهية مظهرا في موضع الإضمار تلذذا بذكره تعالى لم يصرح فيها الإمام أبو السعود -رحمه الله

١- سورة التوبة: ٨٠.
٢- إرشاد العقل السليم٣/١٥٥.
٣- سورة طه:٥٢.
٤- إرشاد العقل السليم ٦/٢١.

تعالى- فيها بهذا الغرض[1]، ولعل ذلك كان اعتمادا على وضوح ذلك الغرض فيها بحيث لا يحتاج إلى التصريح به، أو أنه اعتمد على ما تقدم ذكره من شواه هذا الغرض، فجعل ما ذكر أولا دليلا على ما لم يذكر بعد ذلك، وكلها ترمي إلى ذلك الغرض، ولا شك أن للإظهار في تلك المواطن أثرا كبيرا على النفس، لا يكون إذا جرى الكلام على مقتضى الظاهر.

١- ومن تلك المواطن: قوله تعالى:﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الكهف:٣٨.

وقوله تعالى:﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ هود:٥٧.

وقوله تعالى:﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ هود:٩٠.

وقوله تعالى:﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يوسف:٥٣.

وقوله تعالى:﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هود:٥٦.

وقوله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل:٤٠.

وغيرها كثير، جاء فيها لفظ الربوية في موضع الإضمار للتلذذ بذكره تعالى في مثل تلك المواطن.

والملاحظ أن الشواهد التي أظهر فيها لفظ الربوبية أكثر من شواهد لفظ الألوهية، والسر في ذلك أن لفظ الربوبية أكثر مناسبة لذلك الغرض لما فيه من معاني الجمال، بخلاف لفظ الألوهية الذي تغلب فيه معاني الجلال، والله تعالى أعلم.

٥- الإظهار لزيادة التعيين ودفع توهم غير المراد.

قد يكون الإضمار في بعض المواضع سببا لوقوع المخاطب أو القارئ في لبس أو وهم، فيأتي الإظهار زيادةً في التعيين ودفع ذلك الوهم، وقد ذكر الإمام أبو السعود لهذا الغرض شواهد من التنزيل، كان سبب الإظهار فيها هو زيادة تعيين الاسم المظهر كي لا يشتبه بغيره فيحدث لبس أو وهم، ومن تلك الشواهد:

١- قوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...﴾ [١].

جاء لفظ الرسل مظهرا في موضع الإضمار، وكان الظاهر أن يقال: «لا نفرق بين أحد منهم» بيانا لكون التفريق المنفي إنما هو بين الرسل المذكورين، لا بين من ذُكروا معهم في الآية (الملائكة، والكتب)، فكان الإظهار للتنصيص على هذا المعني، ولو جاء الكلام على الإضمار لوقع القارئ في لبس، ولتوهم أن التفريق المنفي في الآية ربما يكون بينهم وبين غيرهم ممن ذكر معهم، قال شيخ الإسلام أبو السعود:« وإيثارُ إظهارِ الرسلِ على الإضمار الواقعِ مثلُه في قوله تعالى:﴿وَمَا أُوتِيَ النبيون مِن رَّبّهِمْ لاَ نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّنْهُمْ﴾ إما للاحتراز عن توهم اندارج الملائكةِ في الحُكم، أو للإشعار بعلة

١- سورة البقرة:٢٨٥.

عدمِ التفريقِ، أو للإيماء إلى عنوانه؛ لأن المعتبرَ عدمُ التفريق من حيث الرسالةُ دون سائرِ الحيثيات الخاصة»[1].

وقد زاد الإمام أبو السعود أغراضا أخرى في الآية، وليست ببعيدة واعتبارها ممكن، ويجوز اجتماع أكثر من غرض للإظهار في الموضع الواحد، لكن مما يقوي الوجه المذكور أن ثمة آيات وردت في نفس المعنى ترجحه وتقويه، وهي قوله تعالى:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3].

فالمذكورون في الآيتين هم أنبياء الله تعالى ورسل له ولم يرد ذكر للملائكة ولا للكتب، فلعم أن التفريق المنهي عنه هو ما كان بين الأنبياء، وهو مما يعزز الوجه المذكور في آية البقرة.

لكن يبقى تعليق على هذا الموضع، وهو أن التفريق بين الملائكة والكتب منهي عنه أيضا، فلا يجوز للمسلم أن يفرق بين أحد من أنبياء الله تعالى

١- إرشاد العقل السليم ١/٢٧٥.
٢- سورة البقرة:١٣٦.
٣- سورة آل عمران:٨٤.

ورسله، ولا بين أحد من ملائكته، ولا بين شيء من كتبه، إلا أن سورة البقرة قد اختصت بالنهي عن التفريق بين الرسل لأن التفريق بين الرسل أشهر أنواع التفريق الذي حدث في الأمم، ولأنه الأصل الذي يتفرع عنه أنواع التفريق الأخرى، والله تعالى أعلم.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

ولو قال القرآن: «وذروا الذين يلحدون فيها» لوقع لبس في المراد بالأسماء، وذلك لأن معناها يختلف باختلاف المراد بالإلحاد؛ لأنها على بعض معاني الإلحاد لا يكون المراد منها أسماؤه تعالى حقيقة، بل المراد بها ما أطلقه الملحدون عليه تعالى من أسماء، فلذلك جاء إظهار الأسماء في موضع الإضمار دفعا لهذا الخلط، وهذا مجمل ما ذكره الإمام أبو السعود حول هذا الموضع[٢].

١- سورة الأعراف: ١٨٠.

٢- يختلف المراد بالأسماء في الموضع الثاني من الآية تبعا للاختلاف في المراد بالإلحاد، فإذا كان المراد بالإلحاد: أن يسمّوه تعالى بما لا توقيفَ فيه، أو بما يوهم معنى فاسداً، فالمرادُ بأسمائه: ما أطلقوه عليه تعالى، وسمَّوْه به على زعمهم لا أسماؤُه تعالى حقيقةً، ويكون الإظهار في مقام الإضمار لدفع الخلط بين معنيَي الأسماء إذ الثانية غير الأولى.

وإن أريد بالإلحاد العدول عن تسميته تعالى ببعض أسمائِه الكريمة كما قالوا وما الرحمن، أو إطلاقها على غيره تعالى كما سمَّوا أصنامَهم آلهة واشتقوا من بعضها أسماءَ ==

٣- قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ...﴾ (١).

قال الإمام أبو السعود:« تُرِك الإضمار للإيذان باختلاف البُنيانين ذاتاً مع اختلافهما وصفاً وإضافةً»(٢)؛ فالبنيان الأول بني على تقوى من الله، وله خصائصه وصفاته، والثاني بنيان خاو لا أساس له ولا أركان فهو حتما آيل إلى الانهيار، ولو أضمر القرآن في الموضع الثاني فقال:« أم من أسسه» لتوهم أن البنيان الثاني عين الأول، مع أن الواقع خلافه.

٤- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٣).

ذكر الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى في علة إظهار لفظ فرعون في موضع الإضمار وجهين:

==أصنامِهم كما اشتقوا اللاتَ من الله تعالى والعُزّى من العزيز فيكون المراد بالأسماء: أسماؤُه تعالى حقيقةً والمعنى سمُّوه تعالى بجميع أسمائِه الحسنى واجتنبوا إخراجَ بعضِها من البين، ويكون الإظهار في مقام الإضمار للإيذان بأن إلحادَهم في نفس الأسماءِ من غير اعتبار الوصفِ. ا.هـ ملخصا من إرشاد العقل السليم ٣/٢٩٦.

١- سورة التوبة:١٠٩.

٢- إرشاد العقل السليم٤/١٠٣.

٣- سورة هود:٩٦، ٩٧.

الأول: أنه دفع لتوهم القارئ أو السامع أن المراد بضميره عند الإضمار هو سيدنا موسى– عليه السلام–، فلذلك استدعى المقام أن يبرزه في موضع الإضمار، قال:« وتركُ الإضمارِ لدفع توهُّمِ الرجوعِ إلى مُوسى عليهِ السَّلامُ من أول الأمرِ»[1].

قلت: هذا الوجه الذي ارتآه العلامة أبو السعود بيِّن الضعف، ولا يمكن حمل الآية عليه؛ لأن اللبس ههنا مستبعد جدا، إذ كيف يلتبس على القارئ حال نبي من أنبياء الله تعالى بحال مجرم مثل فرعون عليه اللعنة، فالفرق شاسع والحال بينهما في غاية التباين، والظهور.

أما الوجه الثاني عند العلامة أبي السعود: فهو أن الإظهار لزيادة تقبيحِ حال المتبعين؛ فإن فرعونَ علَمٌ في الفساد والإفساد، والضلالِ والإضلال، فاتباعُه لفَرْط الجهالِة، وعدمِ الاستبصار، وكذا الحالُ في قولِه تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾[2].

قلت: وهذا وجه يمكن حمل الآية عليه، وهو مقبول ومستساغ، ويمكن أن يضاف إليه غرض آخر، وهو التشنيع على من تركوا الطريق الواضح وهو طريق الأنبياء، واتبعوا طريقا معوجا هو طريق فرعون مع ظهور ضلاله.

٥- قوله تعالى:﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

١- إرشاد العقل السليم٤/٢٣٨.

٢- المرجع السابق.

لَا يَشْكُرُونَ﴾[1]

قال أبو السعود:« وإنما وضعِ الظاهِرِ موضعَ الضَّميرِ الراجعِ إلى الناس لزيادة توضيحٍ وبيانٍ، ولقطع توهمِ رجوعِه إلى المجموع المُوهمِ لعدم اختصاصِ غيرِ الشاكرِ بالناس»[2].

وهذا تخريج ضعيف كالمثال السابق لأنه يستبعد أن يتطرق الوهم أو الشك إلى الأنبياء بأنهم تاركون للشكر، فهذا بعيد، ولذلك ضعف الألوسي هذا الرأي، فقال: وفيه من الفساد ما فيه»[3].

لكن قد يراد بالإظهار قصد التشنيع على أكثر الناس وبيان أن غالبيتهم تاركون للشكر، وسيأتي مزيد شواهد للإظهار لغرض التشنيع في الصفحات التالية من البحث.

٦- الإظهار لقصد التشنيع على المخاطب

الشُّنْع والشَّناعة والشُّنوع، كلُّ هَذَا من قُبح الشَّيْء الَّذِي يُستَشنَع قُبْحه، وشَنَّع عَلَيْهِ الأَمرَ تشْنيعاً: قَبَّحَه، وشنع عَلى فلَان: فضحه وشوه سمعته»[4]، وقد بين الإمام أبو السعود أن من أغراض الإظهار في مقام الإضمار تقبيح

١- روح المعاني ١٢/٣٣٥.
٢- إرشاد العقل السليم ٤/٢٧٨.
٣- روح المعاني ٦/٤٣٣.
٤- لسان العرب كتاب العين فصل الشين المعجمة، تهذيب اللغة باب العين والشين مع النون، المعجم الوسيط: باب الشين.

بعض الأفعال أو الأشخاص بإظهارها في معرض النطق فضحا لها وتعرية لها على الملأ لتعتبر أو ليعتبر بها غيرها، ومن الأمثلة التي ذكرها تحت هذا الغرض:

١- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[١].

قال رحمه الله تعالى:« وإظهارُ الناس في مقام الإضمار لمزيد التشنيع»[٢]، وذلك ببيان عدم اعترافهم بالمنعم وترك شكر أنعمه التي تغمرهم في كل أوقات حياتهم، ومع ذلك لا يلتفتون إلى أهمية شكر النعم، فلذلك شنع عليهم هذا الخصلة واتخذ لهذا التشنيع سبيلا بإظهار لفظ الناس في موضع الإضمار، وكأنه تشهير بمن لا يشكرون أنعم الله وفضحٌ لهم وتعرية على رؤوس الأشهاد.

وقد زاد الإمام أبو السعود ذلك الغرض بيانا في موضع سورة غافر الذي ورد فيه إظهار لفظ الناس في موضع الإضمار، وهو قوله تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٣]، فبين أن الإظهار في موضع الإضمار لتخصيص عدم

١- سورة البقرة:٢٤٣.
٢- إرشاد العقل السليم١/٢٣٨.
٣- سورة غافر:٦١.

الشكر بالبشر من بين سائر المخلوقات، وأن ذلك من شأنهم في الغالب، وهذ مما يقتضي زيادة التشنيع لانفرادهم بتلك الخصلة، قال:« وتكريرُ النَّاسِ لتخصيصِ الكفرانِ بهم»[١].

٢- وفي قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾[٢]، بين أبو السعود كذلك أن لفظ الإنسان وضع موضعَ ضميره للتسجيلِ على أن هذا الجنسَ موسومٌ بكفرانِ النعم[٣].

وقد أفاد الإمام أبو السعود ذلك المعنى من تفسير الزمخشري رحمه الله[٤].

٣- قوله تعالى:﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥]. فقد أظهر لفظ الناس في موضع الإضمار تشنيعا على أكثر الناس لقصُورِهم في النظرِ والتأملِ لفرطِ غفلتِهم واتباعِهم

١- إرشاد العقل السليم ٢٨٢/٧.

٢- سورة الشورى:٤٨.

٣- إرشاد العقل السليم ٣٦/٨.

٤- قال الإمام الزمخشري رحمه الله:« والكفور: البليغ الكفران، ولم يقل: فإنه كفور، ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم، كما قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، ﴿إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها» الكشاف ٢٣٢/٤

٥- سورة غافر:٥٧.

لأهوائِهم[١].

٤- قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٢].

قال الإمام أبو السعود:« وإظهار سبيلِ الله في موضع الإضمار لزيادة التَّقريرِ والإيذانِ بكمال شناعةِ الضَّلالِ عنه»[٣].

وقد ذكر الإمام أبو السعود غرضين لإظهار سبيل الله في موضع الإضمار، هما:

الأول: زيادة تقرير معنى مخالفة الهوى، باستحضاره في الذهن؛ لأن تذكره واستحضاره في الذهن مما يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى.

الثاني: التشنيع على من ضلوا عنه، ولا شك أن الضلال عن سبيل الله- أي: دلائله التي نصبها على الحق، وشرائعه التي شرعها وأوحى بها- [٤] من أشنع الجرائم، وأبشع الأفعال؛ لأنه يهوي بالإنسان إلى مهاوي الردى، ومن يضلل الله فما له من هاد، وما له من سبيل، فكان إيراد السبيل مظهرا في موضع الإضمار مضافا إلى لفظ الجلالة للتشنيع على الضالين عنه، وبيان

١- إرشاد العقل السليم ٢٨١/٧.
٢- سورة ص:٢٦.
٣- إرشاد العقل السليم ٢٢٣/٧.
٤- الكشاف٨٩/٤، أنوار التنزيل ٢٨/٥.

قبح ما ارتكبوه، فقد أتوا عظيما وارتكبوا جسيما، وكأنه بإظهاره في معرض النطق يشير إلى كمال ظهوره، وقوة وضوحه، وأن من يضل عنه بعد ذلك الظهور والوضوح أعمى قد استوجب التشنيع عليه، ولهذه المعاني كان الغرض الثاني أقرب إلى معنى الآية من الأول، والله أعلم.

ومثل هذا المعني في قوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام:﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا...﴾[1]، حيث وضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير، زيادة في تقبيح أمرهم، ودلالة على عظم ما يصدّون عنه[2]، وهو في تفسير الزمخشري رحمه الله[3].

١- سورة الأعراف: ٨٦.
٢- إرشاد العقل السليم ٣/٢٤٧.
٣- الكشاف ٢/١٢٨.

المطلب الثاني
الإظهار لأغراض تتصل بمضمون الجملة

يقصد بتلك الأغراض ما يكون الإظهار فيها راجعا إلى مضمون الجملة التي يذكر فيها الاسم المظهر، كأن يكون الإظهار لمزيد تقوية وتقرير لمعناها ومضمونها، أو للمبالغة في التهويل، أو لتعليل حكم في السياق، أو لقصد تقوية استقلال الجملة، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله في الأغراض التالية، وهي:

١- الإظهار لزيادة التقرير والتأكيد.

التقرير في اللغة: مصدر قرَّر، يقال: قرر الشيء في المكان: ثبته، وقرر الشيء في محله: تركه قارًّا[١].

ويراد بهذا الغرض تقرير معنى موجود في الآية يحتاج إلى تأكيد وتقرير في نفوس السامعين لأهميته، فيأتي القرآن باللفظ مظهرا بدلا من إضماره لزيادة تقرير ذلك المعنى.

ومن الأمثلة التي أدرجها الإمام أبو السعود تحت هذا الغرض:

١- إظهار الشهر في قوله تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[٢].

١- لسان العرب، الصحاح، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (قرر)

٢- سورة البقرة:١٨٥.

« للتعظيم والمبالغة في البيان»[1]، ولو جرى الأسلوب على الظاهر لقال:« فمن شهده» إلا أن المقام مقام بيان للأحكام التكليفية، وهو يقتضي التفصيل والبيان، ليتقرر الحكم في النفوس أيما تقرير، ولذلك أظهره، هذا بالإضافة إلى ما في ذلك من تعظيم ذلك الشهر الذي فيه تلك العبادة العظيمة، فإذا أظهر لفظ الشهر تقررت فرضية صومه في نفوس السامعين، فيكون ذلك أبعث لهممهم وأقوى لعزائمهم على اتباع أمر الله تعالى فيه، بخلاف ما لو أضمر .

٢- إظهار الحق في قوله تعالى:﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا...﴾[2].

«لزيادةِ الكشفِ والبيان»[3]، فإن الحديث في الآية عن حقوق وديون، وعن ضرورة توثيق ذلك كي لا تضيع الحقوق، ومثل تلك المواقف مما يحتاج إلى التقرير والتأكيد منعا للبس أو الخطأ، أو التهاون، وكأنه بإظهاره الحق في موضع الإضمار يؤكد على ضرورة حفظ الحقوق ويحذر من عدم إضاعتها، ويؤكد على ضرورة مراعاتها.

٣- إظهار الأيدي في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

١- إرشاد العقل السليم١/٢٠٠.

٢- سورة البقرة:٢٨٢.

٣- إرشاد العقل السليم١/٢٧٠.

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [1].

لزيادة تقرير معنى (كف أيدي المشركين عن إيذاء المسلمين) قال الإمام أبو السعود:« وإظهارُ أيديهم في موقع الإضمار لزيادة التقرير أي: منَعَ أيديَهم أن تُمدَّ إليكم عقيب همِّهم بذلك، لا أنه كفها عنكم بعد ما مدُّوها إليكم، وفيه من الدلالة على كمالِ النعمة من حيثُ إنها لم تكن مشوبةً بضَرَر الخوف والانزعاجِ الذي قلما يعْرَى عنه الكفُّ بعد المد ما لا يخفى مكانُه»[2].

وللقارئ أن يتأمل الفرق بين ما في النص الحكيم، وبين ما لو قال:« فكفها عنكم» ليدرك عمل القدرة الإلهية التي شلَّت تلك الأيدي المتوثبة المتربصة بأهل الإسلام، وأنها على قوتها وكثرتها لم تتمكن من الوصول إلى المؤمنين الذين هم في رعاية الله تعالى، ولو ورد الأسلوب على الإضمار لفاتت تلك المعاني وضاع ذلك الأثر الذي يشعر به المخاطبون بالقرآن من الامتنان لتلك القدرة التي كفت تلك الأيدي.

٤- إظهار المنافقين في قوله تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ* وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾[3].

١- سورة المائدة:١١.

٢- إرشاد العقل السليم٣/١٣.

٣- سورة التوبة:٦٧، ٦٨.

تقريرا لمعنى النفاق وتأكيدا عليه، وبيان أنهم عريقون فيه، وأنه متأصل في ذواتهم، وأنهم أُتوا من تلك الناحية فاستحقوا باتصافهم به اللعنة، والخلود في العذاب الأليم، وما كان هذا المعنى ليتقرر في النفوس بدون هذا الإظهار الذي هو كالتشهير بهم وفضيحتهم على رؤوس الأشهاد، وهذه المعاني مستفادة من عبارة الإمام أبي السعود رحمه الله مع بعض تفصيل يقتضيه المقام[1].

٥- إظهار المؤمنين في قوله تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

تقريرا لإيمان المؤمنين، قال الإمام أبو السعود رحمه الله:« والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ لزيادة التقرير والإشعارِ بعلية وصفِ الإيمان لحصول ما تعلق به الوعدُ »[3]، فجاء الإظهار تأكيدا لرسوخ الإيمان في نفوسهم وتمكنهم منه أيما تمكن، وأنهم بهذا المعنى استحقوا النعيم المقيم، وكأن القرآن بهذا الإظهار في مقام الإضمار يحتفي بأهل الإيمان، ويقرر اتصافهم به، في مقابل تأكيده

١- ونص عبارة أبي السعود:« والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ لزيادةِ التَّقريرِ». إرشاد العقل السليم ٤/٨٠.

٢- سورة التوبة:٧١، ٧٢.

٣- إرشاد العقل السليم ٤/٨٣.

على عراقة المنافقين في النفاق، فإذا استحق المنافقون العذاب الأليم لنفاقهم، فإن المؤمنون قد استحقوا النعيم المقيم لرسوخ إيمانهم. ولا ريب أن كثيرا من تلك المعاني يفوت لو جرى التعبير على الظاهر فأضمر.

٦- إظهار لفظ ﴿أخويكم﴾ في موضع الإضمار في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[١]. «للمبالغةِ في تأكيدِ وجوبِ الإصلاحِ والتحضيضِ عليهِ»[٢]، ولو جرى على الظاهر لقال: «فأصلحوا بينهم»

وغير ذلك كثير مما ورد فيه الإظهار في موضع الإضمار لزيادة تقرير المعاني الواردة في تلك الآيات في نفوس السامعين والمخاطبين[٣].

١- سورة الحجرات:١٠.

٢- إرشاد العقل السليم ١٢٠/٨. وينظر: روح البيان ٧٧/٩.

٣- من ذلك: إظهار الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة:٣٨.تأكيدا على حقارة الحياة الدنيا، وتقريرا لذلك المعنى في نفوس المخاطبين.

وإظهار المسيح ابن مريم في قوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ المائدة:١٧. لزيادة تقرير معنى عبوديته- عليه السلام-، والتنصيصِ على أنه من تلك الحيثية بعينها – بنوته لمريم عليها السلام- داخلٌ تحت قهره وملوكته تعالى. ==

ومن خلال التأمل فيما سبق من شواهد لهذا الغرض نرى أنه يغلب وجوده في مواطن بيان العقائد، وأحكام التشريع، والجدل والحوار، مما يستلزم التفصيل والبيان، ليستقر المعنى في النفس ويتمكن منها فضل تمكن، ومن المعلوم أن الشيء إذا تكرر تقرر، والمراد بالتكرار هنا هو تكرار ذكر المسند إليه مظهرا

==قوله تعالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ الأعراف:٣٤، يونس:٤٩، النحل:٦١، فاطر:٤٥، فقد أظهر الأجل في موضع الإضمار تقريرا لمعنى إتيان كل أمة أجلها بلا تقدم ولا تأخر.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ النحل:١١١، لتقرير معنى التوفية لكل نفس.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي...﴾ الكهف :١٠٩، حيث أظهر الكلمات تقريرا لمعنى عظمتها وعدم تناهيها.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ مريم: ٦٦، ٦٧ تقريرا لمعنى إنسانية الإنسان ليتفكر في نفسه ومبدأ خلقه ويعلم أن الذي ابتدأ خلقه من العدم قادر على أن يعيده تارة أخرى.

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزلزلة:١، ٢ أظهر الأرض تقريرا لمعنى زلزلة الأرض وتحركها تلك الحركة الشديدة التي يزول بها كل ما عليها ويخرج بها كل ما فيها من غال ونفيس.

وقوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ الهمزة: ١-٣ تقريرا لمعنى عدم نفع المال وعدم جدواه لمن تمسك به فهو عرض زائل ومصيره إلى النفاد، والزوال.

ينظر: إرشاد العقل السليم ١٩/٣، ٢٢٥، ٦٥/٤، ٢٧٤/٥، ١٤٤، ٢٥١، ١٨٨/٩، ١٩٨

في موضع إضماره، فكأنه أعيد مرة ثانية ليتقرر في نفوس السامعين والمخاطبين.

٢- الإظهار للتسجيل على المخاطب.

ويُقصدُ بالتسجيل على المخاطب: وسْمُهُ بسمةٍ تُسَجَّل عليه ويعرف بها وتلتصق به فلا ينفك عنها، وفي اللسان:« السِّجِلُّ: الصَّكُّ، وَقَدْ سَجَّلَ الحاكمُ تَسْجِيلًا»[١] أي كتب الحكم في سجل موثِّقا إياه.

وواضحٌ ما بين المعنى اللغوي والغرض المذكور من اتصال إذ هو عبارة عن وصف المذكورين بصفات تسجل عليهم فلا ينفكون عنها أبدا وتظل لصيقةً بهم.

وقد رأينا القرآن الكريم قد سجل على المعاندين صفات كثيرة وأظهرها في موضع الإضمار لوسمهم بها، فنراه سجل عليهم صفات الكفر، والنفاق، والضلال، والإجرام، والتكذيب، والظلم، والفسق وغيرها من الصفات.

ومن محاسن هذا الغرض أن فيه إضافة للمعنى وإثراء، حيث يضيف وصفا جديدا يضاف إلى وصف المخاطب الأصلي، فيتضاعف الذم.

وإذا كان القرآن قد أظهر في مقام الإضمار للمدح، والتفخيم، والتشريف، فإنه قد استخدم الأسلوب نفسه من أجل الذم والتسجيل على المخاطبين بأوصاف تليق بهم وتناسب حالهم.

١- لسان العرب: كتاب اللام فصل السين، (سجل)

ومن أمثلة هذا الغرض:

١- إظهار الوصف بالكفر لتسجيله على المخاطبين وذمهم به.

ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾(١).

فقد رأى الإمام أبو السعود – رحمه الله – أن القرآن قد آثر التعبير بقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ بدلا من: « وأن الله مخزيكم» لأمرين، هما: ذمهم بالكفر بعد وصفهم بالإشراك. قوله تعالى:﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

والثاني: الإشعار بأن علةَ الإخزاءِ هي كفرُهم»(٣).

ولو جرى الأسلوب على مقتضى الظاهر وأضمر لفات وصفهم بالكفر، ولكنه جمع لهم بالإظهار بين الوصفين هم بهما جديرون ولهما مستحقون، وهو وصفهم بالكفر إضافة إلى وصفهم بالشرك.

وقد تخرج الآية عن باب الإظهار في مقام الإضمار إذا كان المراد من «الكافرين» الجنس الشامل للمشركين وغيرهم، ويكون الكلام حينئذ جاريا

١- سورة التوبة:٢.

٢- سورة التوبة:١.

٣- إرشاد العقل السليم٤/٤١.

على مقتضى الظاهر وليس فيه خروج، إلا أنهم يدخلون فيه دخولا أوليا، أما إن كان المراد بالكافرين في الآية المشركين المذكورين فتكون علة إظهارهم في مقام الإضمار ما تقدم ذكره.

٢- قوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾[١].

فقد وضع الموصولِ موضِعَ المضمرِ« ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالكفر»[٢]. بدلا من « بل زين لهم مكرهم».

٣- قوله تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِين ﴾[٣].

«فقد وضعَ الموصولِ موضِعَ ضميرِ المتلوِّ عليهم تسجيلاً عليهم بكمالَ الكفرِ والضلالةِ»[٤].

ومثل قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥]، وقوله تعالى:﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ

١- سورة الرعد: ٣٣.
٢- إرشاد العقل السليم ٢٤/٥.
٣- سورة الأحقاف:٧.
٤- إرشاد العقل السليم ٧٨/٨.
٥- سورة الملك:٢٨.

وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[1]،« وُضعَ فيه الظَّاهرُ موضعَ الضَّميرِ غضباً عليهم وإيذاناً بأنَّه لا يتجاسرُ على مثل ما يقولونَه إلا المتوغِّلون في الكُفر والفسوق»[2]، وقد أفاد ذلك المعنى من تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله[3].

لكن توجد أمثلة وضعها الإمام أبو السعود رحمه الله تحت هذا الغرض لا يتبين ظهوره فيها، منها:

١- قوله تعالى:﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[4]

حيث رأى أن إظهار الكافرين جاء تسجيلاً على المخاطبين صفة الكفر، فقال:«وإنما عدل عن أن يقال: (وجعلنا جهنمَّ لكم) تسجيلاً على كفرهم بالعَود وذماً لهم بذلك وإشعار بعلة الحكم»[5].

٢- قوله تعالى:﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[6].

١- سورة ص:٤.
٢- إرشاد العقل السليم ٧/٢١٤.
٣- أنوار التنزيل ٥/٢٤.
٤- سورة الإسراء:٨.
٥- إرشاد العقل السليم ٥/١٥٨.
٦- سورة التوبة:٤٩.

فقد قال أبو السعود رحمه الله:« والمرادُ بالكافرين إما المنافقون وإيثارُ وضعِ المُظْهر موضعَ المُضمَرِ للتسجيل عليهم بالكفر ليجمع لهم بين الوصفين، والإشعارِ بأنه معظمُ أسبابِ الإحاطة المذكورة، وإما جميعُ الكافرين الشاملين للمنافقين شمولاً أولياً[1].

وأرى والله أعلم أن الرأي الثاني الذي ذكره الإمام أبو السعود رحمه الله أرجح للعلة المذكورة في المثال السابق، وهي قصد العموم في الجملة وعدم قصر المعنى على معين، وهو أليق بالمقام.

وكما أظهر القرآن وصف الكفر في مقام الإضمار لتسجيل الكفر على الكافرين فإنه أظهر صفات أخرى في موضع الإضمار لتسجيلها على المخاطبين ومنها:

- إظهار الوصف بالظلم لتسجيله على المخاطبين، وذمهم به

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ* وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[2].

• قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾[3].

١- إرشاد العقل السليم ٤/٧٢.

٢- سورة هود:٦٦، ٦٧.

٣- سورة الإسراء:٩٩.

• قوله تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[١].

• قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾[٢].

• قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٣].

فقد رأى الإمام أبو السعود –رحمه الله– أن غرض إظهار الوصف بالظلم في موضع الإضمار في الآيات السابقة هو التسجيل على المخاطبين بالظلم ليكون وصفا لازما لهم لا ينفك عنهم بسبب ما اقترفوه[٤].

غير أنه– رحمه الله– قد يضع تحت هذا الغرض ما لا يتوافق معه من الآيات، كما في قوله تعالى:﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٥].

١- سورة الأنبياء:٣.

٢- سورة الفرقان:٨.

٣- سورة الزمر:٢٤.

٤- ينظر: إرشاد العقل السليم ٢٢٣/٤، ١٩٧/٥، ٥٤/٦، ٢٠٤، ٢٥٢/٧.

٥- سورة البقرة: ٩٥.

فقد رأى أن إيثار الإظهارِ على الإضمار لذمِّهم، والتسجيلِ عليهِم بأنَّهم ظالمون في جميعَ الأمورِ التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم، ونفيه من غيرهم[١].

والظاهر أنها للعموم وليست من باب الإظهار في مقام الإضمار، فقد جاءت الآية لتقرر حكما عاما يشمل المخاطبين وغيرهم ممن يتصف بوصفهم، وهم داخلون فيه دخولا أوليا.

- إظهار الوصف بالفسق لتسجيله على المخاطبين.

ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٢]، وقد وضعُ (الفاسقين) موضعَ قوله:(فإن الله لا يرضى عنهم) للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجبِ لما حلَّ بهم من السُخط، وللإيذان بشمول الحُكمِ لمن شاركهم في ذلك[٣].
- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٤].

١- ينظر: إرشاد العقل السليم ١٣٢/١.

٢- سورة التوبة:٩٦

٣ - ينظر: إرشاد العقل السليم ٤/ ٩٤.

٤- سورة الصف:٥.

والمرادُ بهم إما المذكورون خاصَّة، والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ لذمِّهم بالفسقِ وتعليلِ عدم الهداية بهِ، أو جنسِ الفاسقينَ وهم داخلون في حُكمه دخولاً أوليا[1].

- إظهار الوصف بالنفاق لتسجيله على المخاطبين.

ومن أمثلة ذلك :

- قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾[2]، والأصل: « رأيتهم يصدون عنك صدودا» فعدل عن ذلك إلى ما ورد في النص ليسجل عليهم صفة النفاق وليبين أن علة ذلك هي نفاقهم[3].
- قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[4]، فقد أظهر لفظ المنافقين في موضع الإضمارِ لذمِّهم والإشعارِ بعلةِ الحُكم [5].
- إظهار الوصف بالضلال لتسجيله على المخاطبين.

---

١ - إرشاد العقل السليم ٨/٢٣٤.
٢- سورة النساء:٦١
٣- ينظر: إرشاد العقل السليم ٢/١٩٥.
٤- سورة المنافقون:١.
٥- إرشاد العقل السليم ٨/٢٥١.

ومن أمثلته: قوله تعالى:﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1]، ومقتضى الظاهر أن يقال:« وما كنت متخذهم» (يعني إبليس وذريته) ، غير أنه عدل عن ذلك ذماً لهم، وتسجيلاً عليهم بالإضلال وتأكيداً لما سبق من إنكار اتخاذِهم أولياء، وقد ذكر الإمام الزمخشري ذلك الغرض في تفسيره، وتابعه الإمام البيضاوي رحمهما الله[2].

٣- الإظهار للمبالغة في التهويل.

هالَهُ، يَهُولُه هَوْلًا: أَفْزَعَهُ، وَخَوَّفَهُ، والهَوْلُ: المَخافَةُ مِنَ الأَمْرِ لَا يُدْرَى مَا هَجَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، والتهويل تشنيع الأمر، وهال هولا: خَافَ ورعب[3].

فالمراد به تخويف المخاطبين بما يبعثه الاسم المظهر في نفوسهم لما له من صفات يعلمها المخاطب، ومن أمثلة ذلك:

١- إظهار النار في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[4].

١- سورة الكهف: ٥١

٢- ينظر: إرشاد العقل السليم ٢١١/٦، الكشاف ٢٧٣/٣، أنوار التنزيل ١٢١/٤.

٣- ينظر: تاج العروس (هـ و ل)

٤- إرشاد العقل السليم ٩٤/٣.

فقد رأى الإمام أبو السعود أن إظهار النارِ في موضع الإضمارِ« لتهويلِ أمرِها»[1]، ولا شك أن السامع يستعرض عند هذا الإظهار للنار ما لها من صفات ذكرت في التنزيل الحكيم، وما أعد لأهلها فيها من النكال والعذاب مما تقشعر له الجلود، وتشيب له النواصي، فيشعر بعظمتها، وهولها، ولو ورد الأسلوب بالإضمار فقال:« ربنا إنك من تُدخِلْها» لما كان له ما للإظهار من أثر في تفظيع أمرها، وتهويل شأنها.

٢- إظهار يوم الدين في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ* ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[2].

ففي إظهارِ يوم الدينِ في موقعِ الاضمارِ «تأكيدٌ لهولِه وفخامتِه»[3]، وذلك حين يستحضر القارئ أهوال ذلك اليوم، وما يحدث فيه من فظائع وأهوال، وما لمواقفه من هيبة وعظمة، تشيب لها نواصي الولدان، وكل هذه المعاني مما يستثار بذكر يوم الدين مظهَرا بارزا شاخصا في السياق ليستحضر السامع بذكره ما سبق وغيره مما يضيق عن ذكره المقام، وتخيل الفرق بين ما ورد عليه النص الكريم، وبين ما لو قال:« وما أدراك ما هو»؟

٣- إظهار الساعة قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا

١- إرشاد العقل السليم٢/١٣١.
٢- سورة الانفطار:١٧، ١٨.
٣- إرشاد العقل السليم ٩/١٢٣.

عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[١]، للمعاني المذكور في المثال السابق، إذ المعنى واحد وهو الحديث عن يوم الدين[٢].

٤- إظهار لفظ الجلالة قوله تعالى:﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣].

فقد جاء إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار أكثر من مرة، تربية للمهابة وتهويلا لأمر ذلك التعدي، فهو لم يعتد على حدود بشر إنما اعتدى على حدود خالق القوى والقدر، وقد جاء التعبير بالإظهار في سورة الطلاق لاتحاد الموضوع، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾[٤].

٤- الإظهار للإشعار بعلة الحكم.

يأتي الإظهار في موضع الإضمار تعليلا لحكم وارد في الآية، ويكون الاسم المظهر كالدليل، أو السبب للحكم المذكور، ولهذا أثر كبير في معنى الآية

١- سورة الأحزاب:٦٣.

٢- قال الإمام أبو السعود:« والإظهارُ في حيِّزِ الاضمار للتهويل وزيادةِ التَّقريرِ وتأكيدِ استقلالِ الجُملة» إرشاد العقل السليم ١١٥/٧.

٣- سورة البقرة:٢٢٩.

٤- سورة الطلاق:١.

لأن اقتران الحكم بعلته وسببه، أوقع في النفس، وأبعد عن الشك في الحكم لاقترانه بحيثيات قبوله، وقد ذكر الإمام أبو السعود لذلك الغرض شواهد، منها:

١- إظهار لفظ الجلالة في موطن الإضمار لتعليل حكم وارد في الآية كما في: قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

حيث رأى أن إظهار الاسمِ الجليل في موضع الإضمار «للإشعارِ بعلَّةِ الحُكم -الذي هو عدم خلف العهد-، فإنَّ عدم الإخلاف من قضية الألوهية»[٢].

وكان الظاهر أن يقال: «فلن يخلفه» ولكنه عدل عنه إلى ما في الآية ليكون ذكر لفظ الجلالة بما فيه من معاني الألوهية كالدليل على عدم الإخلاف، إذ هو جل جلاله لا يمكن أن يخلف عهده، ولا وعده، كيف وهو الآمر بعدم الإخلاف، وهل يعقل أن يأمر عباده بشيء لا يفعله، حاشاه، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

ومثل ذلك إظهار اسم الله الرحمن في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٣] لبيان علة الإذن وهو رحمته

١- سورة البقرة:٨٠.
٢- إرشاد العقل السليم ١٢١/١.
٣- سورة النبأ:٣٨.

تعالى بخلقه في ذلك المقام الرهيب، لا أنَّ أحداً يستحقُّه عليهِ سبحانَه وتعالَى[1].

ولذلك أمثلة كثيرة أظهر فيها لفظ الجلالة أو أحد أسمائه تعالى في موضع الإضمار لبيان بيان علة حكم وارد في الآية [2].

٢- إظهار وصف الكفر في موطن الإضمار لتعليل حكم وارد على الكافرين، كما في: قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ

١- ينظر: إرشاد العقل السليم٩/٩٤.

٢- من ذلك إظهار لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء:٨١، لبيان علة الأمر بالتوكل وهو الألوهية، ومثله قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التغابن :١٣ .
وكذا إظهاره في قوله تعالى: قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء:١٧ لبيان منشأ اتصاف الله تعالى بالعلم والحكمة وهو الألوهية فإنها منشأ كل كمال وجمال وجلال. وكذلك إظهاره في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء:٢، للإشعارِ بعلَّةِ تنزهه تعالى عما يقول الظالمون؛ لأن ألوهيته مناطٌ لجميع صفاتِ كمالِه التي من جملتها تنزّهُه – تعالى– عما لا يليق به.
ومثل ذلك يقال في قوله تعالى:﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القصص: ٦٣.
وقد يضيف الإمام أبو السعود أغراضا أخرى إلى هذا الغرض كتربية المهابة، وتقوية استقلال الجملة.
ينظر: إرشاد العقل السليم:٢/٢٠٧، ١٥٦، ٨/٢٥٨، ٦/٦٢، ٢٩٥.

وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

حيث عدلت الآية الكريمة عن أن يقال:« فلعنة الله عليهم» إلى المذكور فيها لبيان علة لعنهم وهو كفرهم بالله تعالى فجاء الإظهار ليقترن الحكم بعلته وسببه.

ومثله قوله تعالى:﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾[2].

فقد أظهر لفظ الكافرين في موضع الإضمار« إيذاناً بأنَّ منْ لم يجمعْ بينَ الإيمانِ بالله وبرسولِه فهو كافرٌ وأنه مستوجبٌ للسعيرِ بكفرِه»[3]. ولو جرى الكلام على الظاهر لقال: « فإنا أعتدنا لهم سعيرا» ولكنه عدل إلى ما ورد عليه التنزيل لما ذكر.

ولذلك أمثلة كثيرة في القرآن[4].

١- البقرة:٨٩.

٢- سورة الفتح:١٣.

٣- إرشاد العقل السليم ١٠٨/٨. وينظر: روح البيان٢٨/٩، البحر المديد ٥٣٩١، روح المعاني ٢٥٤/١٣.

٤- منها: إظهار وصف الكفر في قوله تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ البقرة:٩٠، لبيان علة عذابهم.==

٥- الإظهار لتقوية استقلال الجملة

يغلب وجود شواهد هذا الغرض في خواتيم الآيات فيأتي الإظهار في موضع الإضمار قصدا لجعل الجملة مستقلة بذاتها في الدلالة والإفادة، وَبهده الاستقلاليّة تكون الجملة بمثابة قضيّة كليّة لها صفة العموم[١].

ومن ذلك: إظهار لفظ الجلالة في ختام بعض الآيات لتكون جملة الختام مستقلة في إفادة حكم مستقل، يمكن بعد ذلك أن يستدل بها استدلالا مستقلا، ومن شواهد ذلك:

١- إظهار لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾[٢].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

٣- وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ

==وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة:٢٥٠، لبيان علة النصر عليهم.

وكذا في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ الممتحنة:١٣، لبيان علة يأسهم من البعث.

ينظر: إرشاد العقل السليم:١/٢٤٤،١٢٩،١٢٩، ٨/٢٤١.

١- البلاغة العربية لعبد الرحمن حبنكه الميداني ٢/١٠٤.

٢- سورة النساء:٤٥.

٣- سورة النور:١٨.

عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[١].

٤- وقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٢].

٥- وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٣].

٦- وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٤].

فقد رأى الإمام أبو السعود أن القرآن قد أظهر لفظ الجلالة في موضع الإضمار في الآيات السابقة لتقوية الجملة، وتأكيد استقلالها، بالإضافة إلى أغراض أخرى منها: تربية المهابة، وإدخال الروعة، وبيان علة حكم وارد في الآية، وكلها أغراض مقبولة، وغير بعيدة عن معاني الآيات المذكورة[٥].

وأمثلة هذا النوع كثيرة ، يطول المقام باستقصائها، وغالب الشواهد التي تقع في خواتيم الآيات تصلح شواهد لهذا الغرض، فلذلك تصلح كثير من شواهد الأغراض السابقة أن يستشهد بها لهذا الغرض أيضا .

١- إرشاد العل السليم ٣/١٤.
٢- سورة المائدة:٢.
٣- سورة المائدة:٧.
٤- سورة المائدة:١٧.
٥- ينظر: إرشاد العقل السليم ٢/١٨٢، ١٧٠، ٣/١٤،٥، ٦/١٦٣.

٦- الإظهار لإرادة التعميم.

ويقصد بهذا الغرض أن يكون الإظهار لتعميم الحكم على المذكورين في الآية، وعلى كل من سلك سبيلهم وفعل فعلهم، وتكون جملة الإظهار كالقاعدة العامة المطردة، والمثل السائر الذي يمكن الاستشهاد به دون ذكر بقية الآية، وهذا من بدائع التنزيل الحكيم، وهذا الغرض متداخل مع كثير من الأغراض السابقة، وشواهدها تصلح أن تكون شواهد له، فكل ما كان في ختام الآيات يصلح أن يكون لإفادة العموم، بالإضافة إلى أغراض أخرى، وقد ذكر الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى لهذا الغرض أمثلة كثيرة، منها:

١- إظهار الكافرين في موضع الإضمار قوله تعالى:﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[١].

« لتعميم الحكمِ لكل الكفَرَة والإشعار بعلّته فإن سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولّيَ عن الطاعة كفرٌ وبأن محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين»[٢].

٢- إظهار الظن قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٣].

ولو قال:« وإنه لا يغني من الحق شيئا» لتوهم السامع أن ذلك الحكم خاص

١- سورة آل عمران:٣٢.
٢- إرشاد العقل السليم ٢/٢٥.
٣- سورة النجم:١٨.

بالمذكورين، فجاء الإظهار لتعميم الحكم ، ليشمل المذكورين وغيرهم، ولبيان أن جنس الظن غير مغنٍ [١].

٣- إظهار الحق في قوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٢]. لبيان أن هذا دأبهم مع الحق عموما فكراهيتهم للحق من حيثُ هو حقٌّ أيّ حقَ كان، لا لهذا الحقِّ فقط[٣]، ومثل ذلك يقال في قوله تعالى﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[٤].

٤- إظهار الناس في قوله تعالى:﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ...﴾[٥] لبيان عموم الإنذار[٦] لكل العالمين، وأنه غير مقصور على المذكورين، ولو قال: «أن أنذرهم» لفات ذلك المعنى المهم الذي هو من أهم خصائص الرسالة المحمدية ، وهو عمومها للكافة من غير تخصيص[٧].

١- ينظر: إرشاد العقل السليم٨/١٦٠.

٢- سورة المؤمنون:٧٠.

٣- إرشاد العقل السليم٦/١٤٤.

٤- سورة الزخرف:٧٨.

٥- سورة يونس:٢.

٦- ينظر: إرشاد العقل السليم ٤/١١٦.

٧-ومن الأدلة على عموم الرسالة قوله تعالى:﴿ تبارك الذي نزل القرآن على عبده ليكون ليكون للعالمين نذيرا﴾ الفرقان:١،وقوله تعالى:﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا

الخـــاتمـة

وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته:

أولا : أهم النتائج

من خلال هذه الرحلة في تفسير الإمام أبي السعود – رحمه الله تعالى– حول أسلوب من أروع أساليب البيان القرآني، وهو أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، يمكن للباحث أن يخرج بمجموعة من النتائج، وهي:

١. يعد الإمام أبو السعود العمادي – رحمه الله تعالى– من أكبر المفسرين اهتماما بالمباحث البلاغية، ومنها أسلوب الإظهار في مقام الإضمار، وهو أكثر المفسرين عناية بهذا الأسلوب.
٢. لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار مكانة كبيرة بين مباحث البلاغة العربية، وله في شواهد الشعر والنثر ما يدل على ذلك.
٣. يعتبر أسلوب الإظهار في مقام الإضمار خروجا على مقتضى الظاهر، لأغراض يبتغيها المتكلم.

ونذيرا﴾= ==سبأ:٢٨، وقوله تعالى:﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ الأعراف:١٥٨.وما أخرجه البخاري في كتاب التيمم، رقم:٣٣٥، عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» .

٤. يندرج هذا الأسلوب تحت مباحث علم المعاني وخصوصا في مباحث المسند إليه، وقد جعله البعض تحت مسائل الإطناب.
٥. أخذ أسلوب الإظهار في مقام الإضمار مساحة واسعة في الدراسات القرآنية، من حيث عدد الشواهد وتعدد الأغراض التي يرمي إليها.
٦. يأتي الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم لأغراض تتصل بالاسم المظهر، منها: الإظهار للاعتناء به، ولتربية المهابة، وللمدح والثناء، وللتشريف والتفخيم، ولزيادة التعيين، ولقصد التشنيع.
٧. كما يأتي الإظهار في مقام الإضمار لأغراض تتصل بمضمون الجملة، ومن تلك الأغراض: الإظهار لزيادة التقرير والتوكيد، وللتسجيل على المخاطب، وللمبالغة في التهويل، ولتقوية استقلال الجمل، ولقصد العموم.
٨. قد تتداخل أغراض الإظهار في مقام الإضمار، بحيث يصلح أن تكون الآية الواحدة محلا لأكثر من غرض.
٩. لم يتضح أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في كل الشواهد التي تعرض لها الإمام أبو السعود بل كان في بعضها نوع تكلف.
١٠. تأثَّر العلامة أبو السعود بتفسيري الزمخشري، والبيضاوي في بيان غرض الإظهار في موضع الإضمار في بعض المواضع إلا أنها ليست كثيرة، وما استنبطه بنفسه كثير جدا يفوق ما في التفسيرين.
١١. تأثر كثير من المفسرين بالإمام أبي السعود في بيان أغراض الإظهار في مقام الإضمار، ونقلوا عنه عباراته في كثير من المواضع، ومن أبرزهم الألوسي في روح المعاني، وإسماعيل حقي في روح البيان، وابن

عجيبة في البحر المديد، والشوكاني في فتح القدير، والقاسمي في محاسن التأويل، وابن عاشور في التحرير والتنوير، وغيرهم.

ثانيا : أهم التوصيات

١- إعطاء هذا الأسلوب مساحة أكبر من الدراسة لما له من أهمية كبيرة في إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهو الإعجاز البياني.

٢- استقراء أغراضه عند بقية المفسرين لما يمكن أن يضاف إلى ما ذكره الإمام أبو السعود رحمه الله تعالى من أغراض.

٣- البحث في أغراض الإضمار في مقام الإظهار، وهو عكس هذا الأسلوب لتتكامل الصورة وتتضح معالم الأسلوبين اتضاحا يكشف عن عظمة البلاغة القرآنية .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم – تنزيل من حكيم حميد

١. الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال– تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم– الهيئة المصرية العامة للكتاب –١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب– لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي– تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد– مراجعة: د. رمضان عبد التواب–مكتبة الخانجي – بالقاهرة – ط : الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي– دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤. أساليب المعاني في تفسير أبي السعود، لنور الدين محمد باشا، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد من جامعة أم درمان– السودان– ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م.
٥. أساليب بلاغية الفصاحة – البلاغة – المعاني، للدكتور: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي– وكالة المطبوعات– الكويت– ط: الأولى– ١٩٨٠م.
٦. الأصمعيات اختيار الأصمعي– لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع– تحقيق: أحمد محمد شاكر– عبد السلام محمد هارون– دار المعارف – مصر– ط:السابعة– ١٩٩٣م.

٧. إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش- دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)،(دار ابن كثير - دمشق - بيروت)- ط:الرابعة ، ١٤١٥هـ.
٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام: ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي: ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العرب- بيروت- ط:الأولى-١٤١٨هـ.
٩. الإيضاح في علوم البلاغة لأبي المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني- ت: د. محمد عبد المنعم خفاجي-دار الجيل - بيروت- ط:الثالثة.
١٠. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي - دار الكتب العلمية لبنان- بيروت ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م - ط: الأولى- ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي: د. أحمد النجولي الجمل.
١١. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني- ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان- الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة - ١٤١٩ هـ.
١٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني - دار المعرفة - بيروت.
١٣. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر- ت: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة -

بيروت.
١٤. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح – للشيخ عبد المتعال الصعيدي– مكتبة الآداب – ط: السابعة عشر– ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.
١٥. البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي– دار القلم– دمشق– الدار الشامية بيروت –ط:الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م
١٦. البيان والتبيين للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – دار ومكتبة الهلال – بيروت– ١٤٢٣هـ.
١٧. تاج العروس من جواهر القاموس. لمحمد مرتضي الحسيني الزبيدي. ط دار الهداية – ت: مجموعة من المحققين.
١٨. التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبد الله، ت: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٩. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر ابن عاشور– الدار التونسية للنشر والتوزيع – تونس– ١٩٨٤م.
٢٠. التفسير والمفسرون للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبي – مكتبة وهبة – القاهرة.
٢١. تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط:الأولى–٢٠٠١م
٢٢. جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ت: أحمد محمد شاكر، ومحمود محمد

شاكر– مؤسسة الرسالة – بيروت.
٢٣. الجدول في إعراب القرآن– محمود بن عبد الرحيم صافي– دار الرشيد– دمشق ، مؤسسة الإيمان– بيروت – ط:الرابعة، ١٤١٨هـ.
٢٤. جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي – ت: علي محمد البجادي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٥. خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى– مكتبة وهبة– السابعة.
٢٦. دلائل الإعجاز في علم المعاني– لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني – ت: محمود محمد شاكر– مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – ط:الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
٢٧. ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى– دار الجيل – بيروت.
٢٨. روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي – دار الفكر – بيروت.
٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي– دار إحياء التراث العربي– بيروت.
٣٠. الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر بن الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد– ت: د. حاتم الضامن– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط:الأولى، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م.
٣١. سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن

الضحاك، الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر- ط: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد العكري: عبد الحي بن أحمد بن محمد - ت: محمود الأرناؤوط - دار ابن كثير، دمشق - بيروت - ط:الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٣٣. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو -لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري زين الدين المصري - دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان -ط:الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٤. شرح ديوان الحماسة - للمرزوقي: أبي على أحمد بن محمد بن الحسن - ت: غريد الشيخ - وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٥. شعب الإيمان للبيهقي- دار الكتب العلمية - بيروت - ت- محمد السعيد بسيوني زغلول- ط: الأولى- ١٤١٠هـ.

٣٦. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية -لـ طاشْكُبْري زَادَهْ : أحمد بن مصطفى بن خليل، أبي الخير- دار الكتاب العربي - بيروت.

٣٧. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري- دار إحياء التراث العربي - بيروت - ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٨. طبقات الشافعية الكبرى- لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي- ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو – دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ط:الثانية- ١٤١٣هـ.
٣٩. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح – لبهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي- ت: الدكتور عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان – ط:الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٠. الكافية في علم النحو لابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي – ت: د. صالح عبد العظيم الشاعر- مكتبة الآداب – القاهرة- ط:الأولى٢٠١٠ م.
٤١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري- دار إحياء التراث العربي- بيروت- ت: عبد الرازق المهدى.
٤٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – لحاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني -مكتبة المثنى- بغداد- ١٩٤١م.
٤٣. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية -لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء -ت: عدنان درويش- محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت.
٤٤. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي- ت: خليل المنصور- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-

ط:الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٤٥. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري - دار صادر - بيروت - ط: الأولى.
٤٦. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي - ت: محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية- بيروت - ١٤١٨هـ.
٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي - ت: عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط:الأولى - ١٤٢٢هـ.
٤٨. مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: أبي محمد حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي- ت: د. حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة - بيروت -ط: الثانية، ١٤٠٥هـ.
٤٩. معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء - ت: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي- دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر- الأولى.
٥٠. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص- لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبي الفتح العباسي- ت: محمد محيي الدين عبد الحميد - عالم الكتب - بيروت.
٥١. معترك الأقران في إعجاز القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٥٢. المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم – ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط:الثانية.
٥٣. مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي الحنفي– ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٥٤. المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي– تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون – دار المعارف – القاهرة – السادسة.
٥٥. مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي – ت: عبد السلام محمد هارون– دار الفكر– ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٥٦. نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي– دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة– الأولى، ١٤٢٣هـ.
٥٧. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لمحي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس– دار الكتب العلمية– بيروت– ط:الأولى– ١٤٠٥هـ .